داود سلمان الشويلي

رشيد مجيد ... انساناً وشاعراً
ودراسات اخرى

اسم المؤلف: داود سلمان الشويلي
عنوان الكتاب : رشيد مجيد ... انساناً وشاعراً
الطبعة الاولى: ٢٠١٦
مطبعة الحسام
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

رشيد مجيد ... انساناً وشاعراً

*** وهكذا مرت سنيُ العمر من غير صدى ،**
لم تترك السبعون من هم ومن منتجع
مرسى لاحلامٍ اضاعتها لياليا سدى ،
ولم اكن اول منسي ، ولا ٠٠٠
اول من أخطأه زمانه منذ بدا ،
امنيتي ٠٠٠ لا ادري ما امنيتي ، واي اوهام سوى
ما يتعب النفس ، وما يوكلها
لقسوة الايام ٠٠ والايام حان مغلق
وضاميء لم يرتوي ٠٠
ومرتوٍ لم يدرِ انه ارتوى ،
وكان أن اوقدت الشموع ، والعمر على اخره ،
وكل ما في رحمة الدرب هوى
فلنملأ الاقداح يا صيف العطاشى طالما،
اينعت الكروم ، وارتد عن الفم الظمأ،
ولتذهب الاحزان يا هذي العذابات لبتي ،
عشت معاناتي ومأساتي بها ،

ولتنتهي ...
ولتهدأ الجراح في محرابها
وليهجع القلب الذي ،
لم يبرح التيه ، ولا الوحدة في شعابها (١)

مقدمة :

في صيف عام ١٩٨٨ م ، تعرفت على الشاعر رشيد مجيد ، وكان ذلك في جمعية الشعراء الشعبين في ذي قار ... بعد ان كنت ان قرأت له مجموعته الشعرية(لا كما تغرق المدن) ، وبعض القصائد في الصحف والمجلات .

منذ ذلك التاريخ ، بدأت اواصر الزمالة تتوثق بيننا ... من خلال الجلسات التي تضمنا سوية ، او مع بعض الزملاء في الجمعية المذكو رة ، او في نقابة الفنانين في ذي قار ... وكنت مستمعا جيدا لما يقرأه من قصائد في هذه الجلسات .

وفي عام ١٩٩٢ م ، وبعد تأسيس فرع اتحاد الادباء في ذي قار ، ضمتني جلسات ثنائية معه ، اذ كنت اطرح عليه بعض الاسئلة المتعلقة بحياته وشعره

٠٠٠ وكنت اسمع منه مباشرة ـ وبصوته المعروف ـ آخر قصائده ٠٠٠ وكنت اسجل ما يقول في اوراق خاصة ٠

وعندما افتتحت لي محل لبيع الكتب والقرطاسية في شارع الحبوبي ، اصبح ذلك المحل المحطة الرئيسية لاستراحة الشاعر اثناء خروجه من بيته ليذهب الى اي مكان يريد(زيارة احد الاصدقاء ، مراجعة الطبيب ، شراء الدواء ،التنزه) وكان يحرص اشد الحرص على ان يُسمعني آخر ما كتب ٠

مرة ، سألته ان كان يحتفظ بمسودات قصائده ، فأخبرني، بأنه لا يحتفظ بها ، ذلك لانه لا يكتب مسودة ، وانما يصحح قصائده مباشرة على نفس الورقة ، اذ انه يقوم بذلك التصحيح باستخدام الممحاة ان كانت الكتابة بقلم الرصاص او بالشطب او بالقلع بالموسى او التصحيح بالحبر الابيض ٠٠٠ عندها طلبت منه ان يبقي الكتابة الاولية للكلمة الخطأ كما هي ويكتب الصحيحة بالقرب منها بعد ان يشطب عليها ، ثم يكتب النص النهائي في ورقة جديدة ، ففعل ذلك ، فتجمعت لدي حصيلة لا بأس بها من مسودات قصائده او قصاصات منها ٠

كانت جلساتي معه في مكتبتي من اهم الجلسات الشعرية بالنسبة لي وله ، اذ كنت ـ وقتها ـ اعد لمشروع دراسة عنه ، وكان هو يزودني بكل ما اريد ، حتى جمعت عشرات الاجابات عن اسئلة سألتها اياه ، وصورة تذكارية تجمعنا سوية توثق احدى هذه الجلسات ، الا ان مشاغل الحياة ، ومن ثم بيع المحل ، ابعداني عنه ، سوى بعض اللقاءات العابرة ، او الزيارات الشخصية المتباعدة التي اقوم بها الى بيته ، وكثيرا ما كنت اراه جالسا على كرسيه امام باب دار بيته عندما هده المرض ٠

في آخر ايامه اقعده مرض القلب الذي اودي به فلحق برحمة باريه الذي خاطبه مرة :

* ونحن الرحالون ٠٠٠
فيا من اطلقت مسيرتها الكبرى
يا من سويت مصائرها ، فيما تحصده ، او تزرع
و ملأت جوانحها طمأ ، وهوىً مضرم
لو ندرك حكمتك الازلية ٠٠٠
فيما تبنيه ، وتهدم ،
فيما تعطي ، تعطي ،
واذا تمنع ٠٠٠ تمنع
يا من سويت مصائرنا
وهزأت بها وبنا اجمع (٢)

رحم الله رشيد مجيد انسانا، وشاعرا٠

***

محطات استذكارية:

الولادة:

بين عامي (١٩٢١ ـ ١٩٢٢ م) ضاع التاريخ الحقيقي لميلاد رشيد مجيد ، بين ما مدون في سجلات الاحوال المدنية ، وبين ما اخبره به والده ، اذ ان سجلات الاحوال المدنية تخبرنا ان المولود البكر لـ (مجيد سعيد محمد صالح العنزي) قد رآى نور الحياة عام ١٩٢٢م ، فيما يقول مجيد سعيد لابنه (رشيد) بعد ذلك ، ان ولادته كانت عام ١٩٢١م ٠٠٠ وكان ذلك في محلة (السراي) في متصرفية المنتفك ـ الناصرية بعد ذاك ، ثم ذي قار لعموم المحافظة ـ ٠(٣)

***

الشاعر واهله :

قدمت له اكثر من عشرين سؤالا في نواح عدة ، فأجاب عنها بخط يده بتاريخ ١٠ / ٥ / ١٩٢٢ ٠٠٠ ومن ضمن تلك الاسئلة ، علاقته بأهله السابقين واللاحقين ، فأجاب قائلا :

((افراد عائلتي : ابي وامي وجدتي واخوتي السبعة مع اختين ، اما حاليا ، فأنا وزوجتي وولدي وزوجته وابنته ، اما ولدي الاكبر فهو وزوجته وابنتيه في بيتنا القديم))٠

ثم تابع القول عن علاقته بوالديه:

((احببت والدي كأي انسان احب والده مع ان الرجل ليس له تأثير سلبي او ايجابي على اهتماماتي او ميولي الشخصية ٠ اما بالنسبة لشعوري اتجاه والدتي ، فلا يختلف عن شعوري تجاه والدي ٠

لم اخرج عن طاعتهم لانهم لم يفرضوا عليّ شيئا لا احبه))٠

وعن طفولته قال :

((لم اتذكر عن طفولتي مع والدتي الا ما هو عادي ، علاقة الطفل بالام ، ولم اكن متعلقا بها تماما ، ولا نافرا منها ، ولم اسافر معها ابدا)) ٠

ومما ذكر :

((ربما اعتبر نفسي مدللا في العائلة ، لانني كنت الولد البكر ، هذا في ايام الطفولة ، وبعدها اصبح كل شيء عاديا)) ٠

وعن تأثير البيت على نشأته الاولى ، قال:

((كانت عائلتي تعيش في بيت مستقل ، فهو ليس لجدي ولا لاحد من اقربائي ، ولا اعتقد ان لهذا الشيء علاقة في نشأتي الاولى))٠

وعندما سألته عن داره الحالية ، اجاب :

((ارادت مديرية السياحة والاصطياف استملاك بيتي لتتخذ منه محطة سياحية ، لولا ان الرفيق طاهر توفيق العاني ، عضو قيادة قطر العراق وقتذاك ، حال دون ذلك ، لاسباب ، اهمها : انه ربما سيكون يوما ما من اثار الشاعر عندما يسأل البعض عن البيت الذي عاش فيه الشاعر ، وكتب قصائده فيه وعن اصدقائه واهم مؤلفاته)) ٠

اقول : انها امنية ندعو تحقيقها ٠

***

استذكار اول :

من حديث للشاعر مع كاتب السطور جرى مساء الثلاثاء المصادف / ٥ / ١٩ ١٩٩٢على حدائق اتحاد ادباء ذي قار ، قال :

((في بداية مشواري الشعري ، كنت لا استطيع قراءة قصائدي امام الجمهور ، مما دفعني الى ان اعطي قصائدي الى احدى الفتيات!؟ (٤) لتقرأها نيابة عني ٠٠٠ كان ذلك في فترة صداقتي لبعض الشيوعيين ، وكانت هذه الفتاة تذهب الى بغداد وتقرأ قصائدي الوطنية ، خاصة في ايام الوثبة ، وقد تكون الفتاة شيوعية ، او قومية ، او مستقلة ، لكنها كانت تقرأ قصائدي ، حتى ان السياب ، عندما كتب مقالاته عن الشيوعيين ، قال مخاطبا اياهم ": ان الشاعر الذي كنتم تحاولون كسبه اليكم ، كانت قصائده تقرأها فتاة" ٠٠٠ وكان السياب يحب تلك الفتاة ويسلمها رسائلا منه لتوصلها لي ـ كما قيل لي وقتها ـ لكنني لم استلم اية رسالة ، وعندما التقيت به اردت ان اسئله عن ذلك ، الا ان الشاعر عبد القادر الناصري دخل المقهى التي كنا نجلس فيها وهو ثمل(وخربط) الحديث ٠٠٠ فنسيت ان اسأل السياب عن ذلك ٠

ان موافقتي في ان تقرأ هذه الفتاة قصائدي ، ليس بسبب صفتها الحزبية ، وانما كان ذلك بالنسبة لي لكونها فتاة جميلة ٠

وان اول من ساعدني على القراءة امام الجمهور هو الاستاذ) ريسان مطر(اذ قال لي مرة) : اشرب بيك عرق واقرأ (٥) (وهكذا استطعت مواجهة الجمهور الكبير الذي امامي ، حتى انه في احدى الاحتفالات،وامام(المتصرف) شربت)بيكين) مما جعلني لا ارى الجالسين امامي ، لكنني استطعت قراءة قصيدتي بصورة جيدة)) ٠

***

استذكار ثان:

وعلى ذكر الفتاة الشيوعية ، وريسان مطر ، سألته بتاريخ ١٥ / ٦ / ١٩٩٤ م ، عن علاقته بحزب البعث العربي الاشتراكي ، فأجاب :

((بدأت علاقتي بحزب البعث سنة ١٩٦٣ م ، واوقفت بعد ردة تشرين ، وسحبت يدي من الوظيفة لاكثر من سنة على ما اتذكر ، ثم انقطعت عن العمل الحزبي لاسباب ، اهمها : حالتي الصحية ، ووضعي النفسي ، وعدم كفاءتي للقيام باعباء العمل الحزبي ، والانصراف لعملي المعيشي بعد اوقات الدوام الرسمي)) ٠

بتاريخ ١٩ / ٥ /١٩٩٢ م سبق وان اجابني الشاعر عن هذا الموضوع قائلا :

((بعد ثورة ١٤ رمضان ، انتميت لصفوف حزب البعث العربي الاشتراكي ، وكان الذي فاتحني بالانتماء صديقي (ريسان مطر) ، وبعد ردة تشرين اعتقلت بتهمة انتمائي للحرس القومي ، اذ اتهمني احد ضباط الشرطة بانني المصور الرسمي ـ وكنت كذلك ـ للمسؤولين ٠٠٠ وعندما سألني المحقق عن ذلك ،اجبته بأنني موظف في الدولة ، ووظيفتي تحتم علي القيام بتصوير المسؤولين ، فأقتنع المحقق ، واطلق سراحي ٠

عدها لم اعد للتنظيم الحزبي ، اذ لا يمكن ذلك ، بعد ان تركته في وقت الشدة))٠

***

استذكار ثالث :

قال في حديثه لي في الجلسة نفسها بعد ان سألته عن تحصيله الدراسي :

((لم انه دراستي المتوسطة ، وبقيت عاطلا عن العمل ، وكان لي صديق امر عليه في بعض الاحيان ، كان يعمل رساما للصور الشخصية وخط اللافتات في محل خاص به ٠

بعدها عملت في ستوديو احد الاصدقاء ، وكان عملي هو (ترتيش) الصور واختيار جلوس العملاء ، اعتمادا على حسي الفني ، ولكنني تركت العمل لانه اخذ يستغلني ، بعدها عملت في سينما الاندلس الصيفي ، وكان صاحبها قريب لي من عائلة (آل طالب) ، بعدها انتقلت للعمل في سينما الاندلس الشتوي ٠

بعد فترة من الزمن ، طلبت من قريبي (حمودي طالب) ان يقرضني مبلغا من المال لفتح ستوديو للتصوير ، فأقرضني مبلغ مئتي دينار ، وافتتحت الاستوديو ٠٠٠ كانت (اعظم ستوديو في الناصرية)٠

كنت اصور الحفلات والمهرجانات والزيارات الرسمية للمصرفية، وان المتصرف في ذلك الوقت طلب مني ان اعمل موظفا في الادارة المحلية براتب شهري ، وان مواد التصويرعلى نفقة المصرفية ، وان لي الحرية كاملة في الدوام اليومي ، لان المتصرف ـ وقتها ـ قد شعر ان عملي معهم دون ان اكون موظفا

يكلف الدولة مبالغ كثيرة ، فرفضت ، وكرر الطلب ، ومرة قال لي : ان هذا الراتب سيفيدك في حالة المرض او الموت ٠

في احد الايام زرت احد الاصدقاء في دائرته ، في الادارة المحلية ، فوجدته قد هيأ لي (عريضة) (٦) مكتوبة ، وقد السق عليها طابع رسمي ، وطلب مني التوقيع عليها ، فوقعت ، وهكذا اصبحت موظفا في الادارة المحلية)) ٠

***

استذكار رابع :

((انهيت الدراسة الابتدائية عام ١٩٣٨ م على ما اظن ٠ دخلت بعدها متوسطة الناصرية،وقد تعرفت على اصدقاء كثيرين في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة ، غير ان احدا منهم لم يترك اثرا في حياتي الادبية ولا في كتابة الشعر ٠

لم يدفعني احد لقراءة الكتب ، فقد كان هذا صدفة ، عندما قرأنا احد كتب المنفلوطي المترجمة عن الفرنسية ، وكنا يومها هاربين من المدرسة انا واحد اصدقائي ، وكان معه الكتاب صدفة ٠

وكان هو اول كتاب خارجي أقرأه ، ولعله الفضيلة او ماجدولين ، وهما من الكتب المترجمة عن الفرنسية ٠٠٠ ثم قرأت الكثير لجبران خليل جبران ، فكنت اميل الى قراءة الكتب العاطفية ، خصوصا التي تنتهي نهاية مأساوية ، ومع هذا فقد كانت قراءاتي متقطعة ولا طاقة لي على مواصلة القراءة ، وهذه حالة ما زالت تلازمني حتى الآن ٠

في المرحلة المتوسطة ، بدأت اشعر بميل الى الرسم، خصوصا عندما نقلت بقلم الرصاص صورة لـ (فريدة) زوجة الملك فاروق ، وكانت بمنتهى الدقة مع انها التجربة الاولى ، ولعلها كانت الدافع لممارسة هذه الهواية التي برزت بها الى حد انني حصلت على البعثة الى لندن من قبل الحاكم العسكري عام ١٩٤١ م ، غير انني رفضت ، لاعتقادي بانهم سيتخذون مني عميلا لهم)) ٠

***

اصدقاء :

في حديثه السابق ، ذكر الشاعر : ان احدا من اصدقائه في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة ، لم يترك اثرا في حياته ، فسألته عن اصدقائه بعد هاتين المرحلتين ، فأجاب : ((لا يدخن ، لا يشرب ، لا يقرأ ولا يكتب ، امي "جاهل" "إعرُبي)) ٠

هذا ما بادرني به الشاعر رشيد مجيد عندما سألته عن (عزران البدري) الذي كثيرا ما كان يتذكره اثناء احاديثه ، او في شعره ، فتابع ذكرياته عن (عزران البدري) قائلا :((كان يعمل "صبي" في مقهى (عبد ضيدان) ، ثم استقل مع اخيه

(إسمُير) في مقهى خاص بهم ، فكان (احسن جايجي) ، اذ استطاع ان يستقطب الناس الى مقهاه ٠

كانت رجلاه مفطورتين (يقصد راحتي قدميه) ، وكان يموع (يذوب) البلاستك ، ويملأ به (الفطور)٠

كانت المقهى الخاصة به في سوق الندافين ، وكان الشباب من رواد المقهى لهم اهتمامات ادبية ، قراءة وتناقل اخبار الادب والشعر ٠٠٠ وكان هو يصغي لكل ما يقال٠٠٠ بعد ذلك ، اصبحت المقهى منتديا ادبيا وسياسيا ٠٠٠ اذ فكرنا ، نحن الرواد المهتمين بالادب و الشعر ، ان نجعلها كذلك ، فرحب ـ رحمه الله ـ بالفكرة ، وكان يتفقدناواحدا واحدا ٠

في يوم ما ، اخبرني احد الاصدقاء ، بأنه قد تعرف على شاعر (معكّل) (٧)، وطلب مني ان اتعرف عليه ٠٠٠ فكان الشاعر (ملا عباس ملا علي) الذي انضم الى مجموعة المقهى ٠٠٠ وكان شاعرا مجيدا مقتدرا من اللغة العربية ، اذ كان يحاضر في المدرسة الثانوية في مادة اللغة العربية٠٠٠ فأخذ يدرسنا المنطق والعروض والفقه (وكنا نقبل دراسة الفقه مجاملة منا له ، اذ كنا بعد ان يغادرنا نهزء بهذه المادة)٠

كان (ملا عباس) ذا ثقافة دينية ، وكان من عادته ان يسألنا في اليوم التالي عما تعلمناه منه في اليوم السابق ، بعدها اخذ يطلب منا ان نكتب مواضيعا في الانشاء ٠

بعد ذلك اتسعت المجموعة ٠٠٠ وكان عبد القادر الناصري في بغداد ، وعندما عاد الى الناصرية ، نعرفنا عليه ، ورحب كثيرا بفكرتنا ، واللقاء في المقهى ، فأصبح الاثنان (ملا عباس ، والناصري) اساتذة جيدون لنا ٠٠٠(قادر) في الشعر و (ملا عباس) في اللغة والادب ٠

(عزران) كان يصغي لنا ، وفي بعض الاحيان كان يشترك معنا في الحديث ، وكان يصحح لنا بعض المعلومات على الرغم من اميته ٠

اخذ (عزران) يشتري الكتب الادبية ، ويجمعها في شباك المقهى الذي جعله على شكل مكتبة ، وضع لها ابوابا زجاجية ٠

وعندما سألناه عن المكتبة ، قال : ((الناس تصرف اطنانا من التبغ وهذه الفلوس التي اشتري بها السكاير التي لا ادخنها ، اشتريت بها الكتب))٠

مرة قال لي(عزران) : لدي مقال اريد انشره ، وطلب منا ان نكتبه وهو يملي علينا المقال ٠٠٠ وكان ما اراد ٠٠٠ وبدء النشر٠

عندها قرر تعلم القراءة والكتابة ٠٠٠ وكنا معلمين له ٠٠٠ فتعلمها بسرعة ، فأصبح (ينافس) جبران خليل وارسطو ، ويناقش في الفلسفة والمنطق ٠

مرة ، طلب منا تخصيص ليلة ادبية في داره في كل اسبوع ، فكنا نجتمع ، ونحن متعددي الاتجاهات السياسية (الشيوعي ، القومي ، المتدين ، الملحد) اذ كان هناك تعايشا فيما بيننا ٠

انضم لنا (السيد سعيد) وهو اخ الشاعر (كمال الدين) قاضي مدينة الناصرية الى اماسينا الادبية ، وفي بعض الاحيان ننقل هذه الاماسي الى دار القاضي ، ليبعد اية شبهة سياسية عن تجمعنا ، كما كان يقول لنا القاضي ٠

عندما سمع الاستاذ المرحوم جعفر الخليلي بهذا المنتدى ، اذ كان ينشر نتاجاتنا في جريدته (الهاتف) قام بزيارتنا ٠٠٠ كان يزورنا مرة او مرتين في الشهر ، واوقف مجلته لادباء الناصرية ٠

استمر هذا المنتدى حتى وثبة كانون ، اذ كنا على رأس المظاهرات في الناصرية ٠٠٠ اذ شاركنا بقصائدنا و كلماتنا ، شجبا للمعاهدة ، وهكذا اتهمت بالشيوعية ، انا والمجموعة ، فأنحلت هذه المجموعة التي كانت تضم كل من :

* لطيف جاسم ـ كاسب ٠
* كاظم جواد ـ اخ حازم جواد ٠
* عبد الرحمن رضا ـ والد الفنانة سناء عبد الرحمن ٠
* جابر حمود ـ كان يحضر معنا دون ان يشارك ٠
* محمد ٠٠٠
* حميد ٠٠٠
* رشيد لفتة ـ كان ضابطا واخرج من الجيش برتبة ملازم لاسباب سياسية.))

٠

ويستمر رشيد مجيد يتذكر ٠٠٠ وكان ذلك في صبيحة يوم السبت المصادف ١٤ / ١١ / ١٩٩٢ في مكتبتي ، قال :

((لعزران قصتين ، وموضوع عن " الادب شاهد الاجيال" ٠ والقصة " هذا من فضل ربي " قصة قصيرة عن بائع الباقلة الذي كتب على "عربته" هذه العبارة ، وكان القاص يهزء من مثل هذا الفضل ٠

بعد ان تنتهي ندوتنا في المقهى ، نبقى ثلاثتنا " انا وقادر وملا عباس " حتى يقفل " عزران "

لمقهى ، فنذهب الى شارع الحبوبي " عكد الهوه" لنتمشى حتى ساعة متأخرة من الليل ، ونحن نتحدث في الادب والشعر ٠

مرة شاهد " عزران " صورة لشكسبير ، فسألني : هل صحيح هذا هو شكسبير؟

اجبته : نعم ٠

فقال : ان وجهه "فاهي " ليس كوجه شاعر عظيم))٠

***

المشروع الشعري الجديد والهم الاكبر:

*** وحشتيني ، وحشتيني،**
عمر واتعدت ايامه وجيتيني،
اجيتيني على غفلة ٠٠ وندهتيني
مثل تايه لكه دربه ٠٠٠ لكيتيني
بعد ما ضاعت سنيني
لكيتيني ٠٠٠ على تراب العمر لَمّن
جِزَ وكتي ، و لمّن ذِبلَت رياحيني
اجيتيني وانا احلم ٠٠ يناسيني
اجيتي و الصبا موَذّح(٨)
و لا واحد يواسيني
تراني شاعر ملوّع
تعالي ٠٠٠لو ذكرتيني
زماني العَرَّفج بيَّ وعرفتيني
بعد ما عتكت (٩) ايامي ٠٠٠ لكيتيني
مثل طير اهتده إلوِكره
اهتديتي لي ٠٠ بعد غربه وبعد هجره
اهتديتي لي ٠٠ وانا مسودن (١٠) كضت (١١) عمري سواديني(١٢)
اهتديتي للهوه ، وإذعنتِ لامره
وهذاك آنه لَمَن جيتي
ويا محله حنين الحلوه للعشره
" تمايزتي " بقاياي واشفقتِ(١٣)
على ما فاتني منها لتغريني
فأسلمتِ لسلطاني
وفي عينيك الحاحٌ٠٠ ترى ماذا
وراء الناس في هيكلها الطيني؟
وهذا المنزوي خلف حناياه؟
اذا حنّ٠٠٠ فلا طهري يزكيه
ولا رجس الشياطين

وقد جئتِ كمن يبحث عن شيء
توارى في دجى الماضي
وفي اشلاء سبعيني
وها قد مرت الايام ٠٠ لا انتِ
ولا صوتك يأتيني
فأين الالق الساجي؟
وتلك الاعين الوسنى؟

------- الخ (١٤)

***

طلب مرة مني ان اكتب مقدمة لقصيدة (اسم الله) ذات النمط الشعري الجديد (لغة وافكارا وبناء) ٠

كانت القصيدة تنتقل فيها اللغة (والافكار) - اذا جاز لنا ان نسمي اللهجة المحكية لغة - بين مقطع واخر ، ودار نقاش طويل بيني وبينه ، كنت من مشجعيه في ابداع مثل هذه النصوص ، وكان هو مهووسا بها ، واكبر هم كان يشغله ان لا يرى مشروعه هذا النور قبل وفاته ٠٠٠ وعدته ان اكتب تلك المقدمة ٠٠٠ فمما كتبت : ((يستدعي - النوع الجديد - الذي بدأ يكتبه الشاعر رشيد مجيد اكثر من وقفة ، ويطرح اكثر من سؤال ٠

فالشاعر رشيد مجيد ، له تجربة طويلة تمتد على مساحة خمسين عاما من الشعر ، وله دواوين ستة مطبوعة ، وضعف العدد مخطوطا ٠

اذكر انه سألني قبل اكثر من اربعة اشهر عن كيفية تدوين (الشعر العامي) ٠٠٠ وقد دار حديث بيننا بهذا الخصوص ، وقتها سألته ان كان يزمع كتابة (القصيدة العامية) فأجابني قائلا : انتظر ٠

وانتظرت اياما ، حتى فاجأني بقصيدة تجمع بين اللغة الفصحى ، وبين اللهجة العامية التي هي الاخرى تتصف بقربها من الفصحى والتي اثير حولها قبل اكثر من عقدين من السنين نقاش طويل ، وسميت وقتها بـ (اللغة الثالثة) ، او لغة الصحافة ، او لغة المثقفين ، والتي تتصف ببعدها عن حوشي الكلام واعجمية اللفظة والمفردة ، وتركيبها (النحوي والصرفي) القريب من التركيب اللغوي الفصيح ٠

انه (نوع جديد) يختلف عن النوع الذي سمي بـ (الشعر الملمع) ، اذ ان هذا النوع يستدعي عمود الشعر الذي يبدأ صدر بيته فصيحا ، فيما يكون عجزه باللهجة العامية ، ومثل هذا الشعر له غاية محددة ، هي (الهزل) ٠

ان قصيدة رشيد مجيد (الجديدة) والتي يحاول نشر بعض نماذجها على اساس انه اول من كتبها - كما يدعي - ستبقى مجالا لابداء الرأي حولها ٠٠٠ ونحن في هذه السطور اذ نقف عند هذا الحد ، فأننا نطالب الزملاء الشعراء والنقاد والمهتمين بالادب الى دراسة هذه (القصيدة الجديدة) وابداء الرأي والملاحظة حولها)) ٠

سألته مرة عن مشروعه هذا ، فأجاب قائلا : ((لا ادري هل يحق لي ان اسميه مشروعا ؟او انها محاولة قد يكتب لها البقاء ، او انها تموت ساعة ميلادها ؟ ومع هذا ، فهي لا تخلو من انها محاولة كبقية المحاولات التي استطاعت ان تقف على قدميها رغم كل المعوقات وهذا ما اتمناه ، واذا لم يتحقق ذلك ، فهي على الاقل لا تخلو عن كونها محاولة ، وانها ستبقى من خصوصيات الشاعر ، ومع الايام فقد تجد لها منفذا لتطل به على القراء، علما بأن للادب الشعبي ، كما للادب العربي قراؤه ، وقد يلتقي القارئان مع هذا النموذج من الشعر)) ٠

وظل الشاعر يكتب هذا النوع من الشعر ، حتى اصبح له منه اكثر من ديوان مخطوط ٠

***

((اسم الله ، اسم الله))

((ما اسرع ما تتردد على فمنا هذه الكلمة عندما يتملكنا الخوف على من لا نريد ان ينتابه اذى ، او يصيبه مكروه ٠٠٠))

*(اسم الله ٠٠٠ اسم الله)

كلمة خوف تنسل الى شفة امرأة
يتملكها الاشفاق ، فلا تتذكر ((غير الله))(١٥)
من غير استئذان خرجت ،
وبغير استئذان دخلت ،
قلبا اغلقتُ منافذه ،
تلك الكلمة ، ما اعذبها؟
وهي تطل على شفتيك ٠٠ ((اسم الله ، اسم الله))

يا محلاها من تتخطى ابخوف ورغبه
يا محلاها بياقوت الفم ،
خمره بكاس القبله العذبه ،
يا محلاها ، ويا مِسعَد ذاكَ اليشربها ،

ويطفي النار المستعره ابكلبه وملتهبه ،
يمته اشوفج يمته؟ واشوف الدنيا ابعينج؟

هذا الصوتُ الدافئُ والهمسة والنجوى،
والبوح المتلفتُ في شفتيك ٠٠٠

***

الشاعر والمرأة :

كتبت عنه مرة : ((تشكل المرأة عند رشيد مجيد حضورا شاملا وكليا ، ليس على مساحة شعره الواسعة فحسب ، بل وفي تفكيره وسلوكه الحياتي ٠٠٠ وهذا الحضور الواسع للمرأة ، رغم المساحة الصغيرة التي شغلتها في مجاميعه الشعرية الستة المطبوعة ، الا انها تشكل ظاهرة بارزة في شعره ٠

ان ظاهرة حضور المرأة في الخطاب الشعري للشاعر رشيد مجيد ، تأخذ فرادتها من كونها :

آ ـ ان المرأة عند الشاعر هي : الحبيبة// المعشوقة فقط ، ولا وجود لاي صنف آخر عنده ٠٠٠ حيث ان بنية الحب // العشق ، تتشكل بين الشاعر والمرأة فقط دون سواها من البنى ، ويكون الخطاب الشعري عند ذلك موجها ـ اساسا ـ اليها ، اذ يفتقر شعره الى المرأة / الام ، والمرأة // الابنة ، والمرأة // الاخرى ٠

ب ـ ان العلاقة التي تربط الشاعر بالمرأة ، حياتيا ، هي علاقة يمكن وصفها بأنها علاقة عذرية ، على الرغم من ان مثل هذه العلاقة هي المهيمن الكبير على حبه للمرأة خارج النسق الشعري ، ولا شيء غير ذلك ٠

ان الحب عند الشاعر ـ في الواقع ـ هو حب روحي ، استجابة روحية بين (روحين) ، اذ تصبح هاتين الروحين عند ذاك واحدة في جسدين ٠

ج ـ رغم عذرية الحب ، الاان الشاعر يجعل من خطابه الشعري موجها ـ اساسا ـ الى ما هو حسي ، فيقع التناقض بين الخطاب الشعري ، وما هو خارجه في حياة الشاعر المعاشة ، فتأخذ النظرة ذات الطابع الحسي للمرأة مساحة واسعة من ذلك الوصف ، عندها ينتقل ذلك الحب العذري ، من خطاب الروح الى خطاب الجسد ، وتتحول بنية العلاقة من بنية روحية الى بنية جسدية ، حسية ٠

ان التناقض هذا ، مرده الى ذلك التعفف الذي يبديه الشاعر امام المرأة // الحبيبة = المعشوقة ، حيث تسكت جميع الحواس امام تلك المرأة سوى حاسة البصر التي تطوف في الوجه المليح ، والقد المياس ، والبسمة الفاتنة ، وعند انتهاء لحظة المواجهة الروحية هذه ، تأخذ باقي الحواس بالعمل ، ليس على جسد

امرأة حقيقي ، بل على ما هو متخيل ، وما هو متخيل ينتقل مباشرة الى الخطاب الشعري ، الى كلمات وجمل وقافية وبحور شعرية ، على الرغم من قوله في احدى قصائده :

*انني لا املك طهر القديسين

ولا مارست احابيل الشيطان٠ (١٦)

مرة كان يجلس معي في مكتبتي ، فدخلت علينا صبية جميلة ، لون حمرة شفتيها غامقا ، وكانت تضع خاتم الخطوبة في يمناها ، سألته : ماذا اوحت لك ؟ فأجاب بخط يده بتاريخ ١٥ / ٦ / ١٩٩٤ : ((كانت جميلة حقا ، وانها تسترعي الانتباه ، غير انها لم تمكث طويلا في الذاكرة ، وهل ذلك يعود لعدم التحدث معها وسماع صوتها ؟ لذا فهي لم توح لي بشيء))٠

ولهذا الكلام دلالة كبيرة لمن يقرأ شعر رشيد مجيد في المرأة وعنها ، اذ ان المرأة عنده ، ليست صورة جميلة حسب ، بل صوت ، وحديث ، وجسد متشكل امامه ٠٠٠ كل ذلك مجموعا امام ناظريه ، لهذا ، فعندما سألته ، بتاريخ ١٠ / ٥ / ١٩٩٢ عن علاقته بالمرأة اثناء فترة الطفولة والصبا، اجاب : ((ليست لي علاقة مع ابنة الجيران ، وان كنت قد احببت كثيرا في حياتي قبل الزواج ، غير انه حب سرعان ما ينتهي ، لانه بلا امل)) ٠

وفي لقاء معه تم بتاريخ ٢ / ٥ / ١٩٩٢ م سألته عما اذا كانت قصائده عن المرأة هي عن تجارب متعددة ومتنوعة ،ام انها عن تجربة واحدة عاشها ، اجاب : ((اكثر قصائدي كتبت عن تجربة واحدة مع امرأة واحدة ، وبعضها ـ القليل ـ مع اكثر من امرأة))٠

وعندما قلت له ـ وقتها ـ انه متهم من البعض بأنه يكتب عن المرأة بلا تجربة ، اجاب : ((كل ما كتبته عن المرأة ، وفيما يتعلق معها ، كان صحيحا الى ابعد الحدود ، لم اتخيل الموضوع ، ولو تخيلته لكانت القصيدة هزيلة ، فكل الذي كتبته عنها هو حصيلة تجربة اعيشها بكل مفرداتها ، وبكل ما فيها من ملابسات ، ومن تناقضات ، اما اني اكتب القصيدة بلا تجربة ، فهذا حطأ كبير ٠٠٠ ان هذا الموضوع ، هو الذي اكتب عنه بكل احاسيسي)) ٠

في صبيحة يوم ٨ / ١١ / ١٩٩٢ ، وبعد خمسة اشهر من اقامة اتحاد ادباء ذي قار حفلا تكريميا له ، زارني الشاعر في مكتبتي ، وبعد حديث طويل ، بثني اشواقه ، وحبه الاول ، فسألته عن (ليلى) التي ذكرها شاعر سوق الشيوخ ، وزميله ، الشاعر الكبير جميل حيدر، في قصيدته التي القاها في حفل التكريم و التي يقول فيها :

*اللحن الرهيفِ عريشُ نجـــوى

سوى عرش الجمال بمن تسامى
سلوا: ((ليلاه)) كيف له افاضت
مفاتنها وكيف بـــهن هـــاما
سلوه : هـــل لغير القدس صلى
وهـــــل حفظت له فيها ذماما
اهاجته على (ذي قار) برقـــا
وزوبعت المدى فيها قتـــــاما
تـــــــألق حبها وطنا فغابت
بـــــــه عنه وخانته التزاما
استعاضت من يهودا وجه حـقد
ونازلت المحب بـــه خـــصاما
وظل العاشق العربـــــي فيها
برغم الحقد ينشدها الســـلاما

عندها غاب عني قليلا ، فيما عيناه تنظران الى كفيه المشتبكتين في حضنه ، وفجأة خاطبني قائلا : اكتب .

كنت دائما ـ عندما تضمنا جلسة مثل هذه ـ اضع ورقا وقلما امامي لاستخدمهما في تدوين ما يقول ، فكتبت هذه القصيدة وهو يمليها علي من حافظته ، وكانت ردا علـــى قصـــيدة الشـــاعر الشـــيخ جميـــل حيـــدر:

انـــت اذكيـــت بقايـــا جـــذوة اوشـــكت تخبـــو ولـــكن مـــا خبـــت
مـــن مـــدى اي زمـــان جأتـــها والـــــى اي زمـــان بُعثـــت
اربعـــون اقتحمتنـــي وانتهـــت وصـــدى ذكـــرى هواهـــا مـــا انتهـــت
هـــي ليلـــى منـــذ ان كانـــت هنـــا وهـــي ليلـــى يـــا اخـــي واغتربـــت
هـــي ليلـــى رجـــعُ انغـــام الصـــبا والتعـــــلات التـــي مـــا نفعـــت
اودعـــت فـــي شـــفتي علقمـــها ليتهـــا تعـــــرف مـــاذا اودعـــت
اتراهـــا يـــا (جميـــل) اعتـــذرت ام تناســـت مـــــن انـــا ام نســـيت
ايـــن منـــي لحظـــات الملتـــقى عفـــت الـــريح خطاهـــا ومـــحت
فلـــم اختـــرت معانـــاتي بـــــها وتخيـــرت عـــــــهودا ســـلفت
عنـــدما لمّحـــت عـــن ليلـــى معـــي كنـــت قـــاسٍ معهـــا اذ رحـــلت
قلت عن ليلى مقالا ظالـما انت ادرى لِمَ ليـــلى هـــجرت

ونحـن نتسـاءل بـدورنا : لِـمَ ليلـى هجرتـك ايهـا الشـاعر ، ومـن هـي ليلـى ؟ وراح الشاعر يستذكر ليلاه ، فقال :

((ليلى فتاة يهودية ... القصة غريبة ، لكنها حقيقية وليست من نسج الخيال ... هناك صورة في ذهن اي شاب عن فتاة ما...صورتها ، صوتها ، نبرته ... فوجأت امام فتاة في يوم ما فيها كل الصفات التي كنت احب ، حتى رنة الصوت ... احببتها دون معرفة ، سألت ، قالوا : انها يهودية ، طالبة ، كان ذلك في نهاية الاربعينات ... احببتها بعنف دون ان تشعر هي ، ومن خلال مراقبتي لها ، ونظراتي ، وابتساماتي ، شعرت هي بحبي لها .

احد الشباب اليهود سمع بقصتي من احد الاصدقاء ، فأخبرها بحبي و ما كتبته عنها من شعر ، وفي مرة ، التقيت بها في الشارع ، سلمت عليها ، ابتسمت ... بعدها ، طلبت من احد الشباب اليهود ان يأتيها بقصائدي التي كتبتها عنها ، وبعد فترة ، اوقفت انا ثلاثة اشهر بتهمة سياسية ((الانتماء للحزب الشيوعي)) وبعد ان اطلق سراحي ، لم ار صاحبتي ، اذ انها قد ارتحلت مع اهلها الى اسرائيل ... وكانت قصائدي عندها ، خاصة (ملحمة ليلى) فسلمتها هي الى احد الاصدقاء ، وطلبت منه ان يخبرني بأننا سوف لن نلتقي مستقبلا .

انها الحب الاول ، وهي الصورة المثالية التي كانت في ذهني .

ان ليلى هي (لوشا) اليهودية ... لهذا خاطبتها مرة :

* كنيت عنك بليلى غير ان دمي
يضج بأسمك من آن الى آن

***

كانت قصيدة الشيخ جميل حيدر بين يدي ، وهو امامي جالسا على كرسيه ، فيما كفيه متشابكتين ـ كعادته ـ في حضنه ، فرحت اقرأ له :

* وما كانت "نهال" غير كرم تنضرت الكؤوس بها مُداما
اقام على اعتكاف الراح منها فتيمه السراب بها اوامـــا
ومهما زاغـــت الرؤيا لديه فمراى الحسن عنه ما تراما
وريشته التـــي راشوه عنها ستكبر من تراشقهم سهاما .

فسألته عن (نهال) ... لا اعرف فيما اذا كانت حركة يده وهي تنتزع نظارته من على عينيه كانت طبيعية ام انها جاءت بفعل الذكرى ؟... عندها سحبت ديوانه (العودة الى الطين) ورحت اقرأ له قصيدة "نهال" فيما هو ينصت الى صوتي ... وبعد ان انهيت قراءة القصيدة ، ظل هو صامتا ينظر في وجهي ، فسألته : ما هي قصة هذه الفتاة التي شاكسك بها الشيخ جميل حيدر ، اذ رحت تخاطبها في قصائدك لها بـ (يا اختاه)؟

بعد لحظات اجابني : ((في مهرجان قطري في البصرة ، قرأت قصيدة " وجه بلا هوية " التي حازت على الجائزة الاولى ، وبعد عودتي الى الناصرية ، جاءتني

ابنتي "ذكرى" وكانت طالبة في الثانوية - وقتها- برسالة من مدرستها "نهال" فيها تحية واعجاب بالقصيدة تلك ، وطلبت نسخة منها ، فأرسلتها لها ، ثم دعوتها الى البيت ، وكانت جلسة عائلية جميلة ، وتوطدت العلاقة الاخوية بيننا ، وكثيرا ما زارتنا هي ووالدتها ٠

لـ "نهال" ديوان منشور بعنوان "شيء اخر للحب" ، ولها اخر معد للطبع ٠

" نهال" فتاة حساسة ، وكان اشد ما يؤلمها ويحز في نفسها ، نظرة عائلتها لها كشاعرة ، حيث لا تقبل بأن تكون ابنتهم شاعرة ٠٠٠ وكذلك كان ما يزعجها النظرة (المريضة) لبعض الادباء المحلقين بها ٠٠٠ حيث انها تعتبر الاديب قائدا للمجتمع ولا يمكن ان يكون مخادعا وكذابا او مرائيا ٠٠٠ وكذلك كان ما يزعجها ، هو قطع اطراف اصابع كفها بعد ان اصيبت بـ "الغنغرينا " ٠

استشهد اخيها "عماد" في القادسية ، وكان الوحيد في العائلة الذي يفهمها كشاعرة ٠٠٠ وقد كتبتُ عنه قصيدة نشرت في ديوان " يحترق النجم ولكن "))٠

القصيدة :

((الى روح الشهيد الرائد عماد حسن العبيدي))

*حدثتني (نهال) امس عن عماد ،

لكنني لم ار غير مرة واحدة وجه عماد

كنت احس ان شيئا يتصدى لعماد ،

وان صوتا وراء الغيب ، مخنوق الصدى ٠٠٠

ما انفك يدعوه ، ينادي ٠٠٠ يا عماد ٠

وان افقا ازرقا،

اقرأ ما يقرأه الشاعر في وجه عماد ؟

في لقاء مع الشاعر تم بتاريخ ١٥ / ٦ / ١٩٩٤ م ، سألته : تقول ان (جذوة) الجنس عندك قد خبت منذ سنوات ، ولكنك ما زلت تكتب عن الحب والجنس ، ووصف جسد المرأة ، كيف تعلل ذلك ؟

اجاب : ((نعم ٠٠٠ انطفأة جذوة الجنس ، وانتهى ما كان بيني وبينها من وشائج ، غير ان الحنين لفردوس المرأة هو مبعث الرغبة للكتابة عن الجمال الذي يتجسد بأحلى مظاهره في المرأة ، ولعل عقدة الحرمان هي السبب المقبول منطقيا للحنين للمرأة روحا وجسدا)) ٠

قلت له : ذكرت لي ان المتنبي في المسلسل التلفزيوني الذي كتبه مالك المطلبي صرخ قائلا : لماذا تموت النساء ؟ ما هو رأيك في ذلك ؟

اجاب : ((هذا ما شاهدته وسمعته خلال مشاهدتي للمسلسل التلفزيوني عن المتنبي ٠٠٠ ولا ادري هل هذه الصرخة كانت من المتنبي عند سماعه بموت خولة

الحمداني ، ام انها من عنديات المؤلف ؟ وعلى كل حال ، فلا يسعني الا ان اضم صوتي الى هذه الصرخة :(لماذا تموت النساء؟) ، اكانت من المتنبي ، او انها من المؤلف)) ٠

***

شهادة شعرية :

((الشاعر والسنين))

لم اقرأ لشاعر ، قد شغله تصرم سنين العمر ، وراح يذكرها في جل قصائده ، كما قرأت للشاعر رشيد مجيد ، اذ كان للعمر عنده ثقل كبير ، وكان ينظر الى سنين عمره ، وهي تنصرم من بين يديه ، نظرة خوف وترقب ، والمرض ينهش قلبه ، خوف من ان تنتهي سنوات عمره غير المعروف دون ان يصل الى ما يريد ويرغب ، وان ما يريد ويرغب مجهولا ، وترقب لميزان تلك السنين كي لا ينقص مثقال ذرة دون شعر ٠

* شارفت الخمسين ، استهدفت الدرب و ما زال الدرب
وحملت خطاي على عيني ، فلا ارتد ولا اكبو،
صفعتني الريح ، مددت يدي لكي القاك الى جنبي (١٧)

فها هو يأسه لما بعد الخمسين يشتد :

* لم تعد اليوم بقايا عمره كما هي
ولم تعد "حواؤه" سوى لهاث اغنية
وتهجرت ، وانحدرت في قافية
او قصة منتهية (١٨)

عندما يحسب الشاعر سنين عمره ، يجمعها ، ينظر الى فعلها فيه ، ، يصيبه اليأس ، وها هو يعود من رحلة الخمسين صفر اليدين ، كما عاد جلجامش خالي الوفاض دون ان يجلب عشبة الخلود :

* وجئتكِ الان كما تريننني صفر اليدين
لم ارتشفَ كأسا، ولم احلم بثغر امرأة
ابحث عن سر البقاء ، عن مكان ذلك الاكسير
ليعتق الانسان من حتمية المصير
وليغلق الدرب الذي لا ينتهي (١٩)

ان مقدمة قصيدة "الصوت والباب المغلق" المكتوبة عام ١٩٧٠م، وخاصة المقطع الاول منها ، تمثل خير شاهد للحالة التي يعيشها الشاعر ، حتى قبل ان يرحل من دنياه ، اذ يقول :

((لقد سقطت حنجرتي وتمزق صوتي وتمرغ فمي في التراب ، وما زال بابك موصدا يا رب))

* ياضمير الله اين الملتقى؟
اين يستوطن ظلي ؟
فلقد تاه بدربي ، وانتهى ٠٠٠
كل شيء كان حولي(٢٠)

ويقول في مقطع اخر :

* يا ضمير الله ٠٠٠ يا صمت شفاه لم يحركها لسان
من زمان
ايها الصبر الجليدي المسجى من زمان
كل يوم تلد الارض نبيا مستهان
كل يوم الف مأساة "حسين" في مكان
كل يوم "كربلاء"
ومزيد من سبايا ودماء(٢١)

وبتاريخ ٣ حزيران ١٩٩٢ م ، كتب يقول :

* وهكذا مرت سني العمر من غير صدى ٠٠٠
لم تترك السبعون من هم ومن منتجع
مرسى لاحلام اضاعتها لياليا سدى ،
ولم اكن اول منسي ، ولا٠٠٠
اول من اخطأه زمانه منذ بدا،
امنيتي٠٠٠ لا ادري ما امنيتي ٠٠٠ (٢٢)

كان ثقل السنين ثقيلا عليه ٠٠٠ قرأ امامي مسودة قصيدة "الصمم" في الساعة الرابعة من مساء يوم الاربعاء المصادف ١/٢/ ١٩٩٥ ، عن " العلة" التي كان يرزح تحت وطأتها في سنين عمره الاخيرة :

* معذرة ان لم اكن اسمعكم
من اغلقت يداه بابي٠٠٠ اغلقت،
سمعي٠٠٠ فلا اعي سوى حشرجتي ،
ورفة الحزن وما ينزف قلبي في فمي (٢٣)
سمعي محاط ، بل محشو بالصمم
الكوة الصغرى التي
اسعدني الحظ بها
يوما بأن اسمعكم

وان اروي نهمي
اغلقها الله ٠٠٠ لاحيا مثلما ارادني
اصم لااعي، ومطرقا بلا مترجم
وفي مقطع اخر يقول :
*** يا حسرتي**
كم من فم يندهني ، ولا اعي؟
وكم صدى يسحرني ٠٠٠ فيحتويه سقمي،
ابكي بصمت حجري، وبحزن آدمي،
وانزوى في اللا مدى ،
وانتهى للعدم

****

شهادة الوفاة :

رشيد مجيد ، شاعر حساس امام العمر ، وامام الموت ٠٠٠ فقد رثى جل اصدقائه ٠٠٠ رثاهم بقصائد تقطر اسا، لانه كان يرثي نفسه في الوقت نفسه ، كان يخاطبهم بهذا المعنى ، واذا كانت اغلب قصائد ديوانه " يحترق النجم ولكن " رثاء لشهداء القادسية ، فقد حملت دواوينه المطبوعة والمخطوطة قصائد يرثي فيها اصدقائه وزملائه دون اهله ٠

ففي مرثيته لصديقه الاديب الراحل " صبري حامد " (٢٤) يقول :

*** ٠٠٠ " صبري ، صبري"**
هل تذكر ليلة كنا نتحدث عن؟
عن اخوتنا الموتى
وعن الموت ، وكيف تمنيت بها مني ٠٠٠
ان ارثيك باشجى ما ينزفه شعري؟
وكما شيعت به "عبد الرحمن"، و"عبد القادر"، و"البدري"
لم ندر ، بأن الموت ، على خطوات منا٠٠٠ لم ندر
وبأن حديث الامس ، نبوءة رحال٠٠٠
يتأهب ليلتها للتوديع بها ، في رحلة هجر
وبأن الركب على وشك الايغال الى المجهول،
وان مسافري الاخر ،"صبري"٠٠٠

وها هو يرثي صديقه الاديب الراحل "عزران البدري" مخاطبا اياه وكأنه يرثي نفسه :

***٠٠٠ "عزران" عندي ما اقول ٠٠٠**

كثيرة غصص الليالي والتعلات التي ٠٠٠
اغلقت بابك دونها
وكثيرة٠٠٠
هذه الاحاديث التي
اجتر وحدي في الحياة شجونها (٢٥)

لقد وجد الاصدقاء والاعزاء يتناهبهم الموت الواحد بعد الاخر ، وكان يرثيهم بقصائده ،وعندما وجد نفسه وحيدا بعد ان رحل الجميع ، انتبه لنفسه ، وتساءل : من سيرثيه بعد موته ؟ عندها تيقن انه سوف لن يرثى ، فرثى نفسه بقصيدته هذه بتاريخ ١٢ / ٤ / ١٩٩٥:

(كان بالامس)

(عندما يحس الشاعر بنهايته ، عليه ان يؤبن نفسه)

من سيبكيك في غـــــد يا رشيد
يـــــــــوم يحدو بك الفناء الاكيدُ
عندما يرحـــــــل النهار وتبدو
وحشة الليـــــــل والمسوخ السود
وتدب الهوام فـــــــــي مستقر
اطبق الطين فـــــــــوقه والدود
واراني ، ولا ارى غـــــير شلو
غيبته عـــــــــن الحياة اللحود
من سيبكي الذي بكى مـــــن تناؤا
ثم اغـــــــــفى وما وفاه القصيد
هجروه، انتهى، نسوا كـــل شيء
الخليل الذي نأى لا يـــــــــــعود
كان بالامس ، وانطوى كل شيء
عمره٠٠٠ والجفاف٠٠ والتسهيد
فلمـــــــــن تهرق الدموع ويشدو
وتر الشعر ، والمـــــــراد بعيد ؟
انها ســــــنة الحياة ٠٠ ستهوى
بالقدامـــــــــــى ليستقر الجديد
شاعر مات وانتهى ، ثـــم ماذا ؟

كلنا ننتهي غـــــدا ٠٠٠ او نبيد
فلمـــــن يكتب الرثاء ، ويزرى
بالقوافـــــــــي ويستباح النشيد
آه مـــــا اثقل الحياة ٠٠ اذا ما
لفظت عـــــــمرها لديها العهود
فليكن آخـــر المطاف سكون
تتعرى بصمته يا "رشـــــــــيد"

***

امنية صغيرة :

كان اخر ما يتمناه ـ كان ذلك في العام ١٩٧٣ حسب ما قاله لاحدى الصحف ـ وما زالت امنيته حتى وفاته رحمه الله ، قال : ((اتمنى ان تجمع قصائدي في مجلد واحد ، لكي اتوسده واستريح)) رحمك الله يا ابا عماد ، لقد توسد راسك التراب ، وما زالت قصائدك تنتظر من يجمعها ٠

***

جلست امامه او ربما هو الذي جلس امامي ، الصورة الفوتغرافية التي تجمعنا سوية لا توضح ذلك ، فمرة كان هو الذي يصغي لي ، ومرة كنت انا اصغي وادون ما يقول ٠٠٠ فسألته ، واجاب ، وكان ذلك بتاريخ ٢٠ / ١٢ / ١٩٩٢ :

عن الشعر والقصيدة :

س/ اذا استطعت ان تتذكر عملية الابداع كما جرت في اخر قصيدة كتبتها ، هل عاشت في نفسك صورها واحداثها كاملة قبل النظم ، ام بزغت فجأة ؟ واذا كانت قد عاشت قبل النظم فهل كانت حياتها جامدة ، اي انها ظهرت فجأة وهي كاملة متكاملة ، ام انها تطورت في حياتها قبل الكتابة او اثنائها وجعلت تمتلئ وتنضج في بعض نواحيها ، وتتضاءل وتتلاشى في نواح عدة ؟

ج/ الاشياء تتداعى ساعة النظم ، حيث ان القصيدة هي التي تدفعها ، والرؤى التي تتداعى امامي ، تذكرني برؤى اخرى تالية لها ٠٠٠ انها تظهر فجأة دون سابق انذار ٠٠٠ وان القصيدة تنضج اثناء كتابتها ، واحيانا ارجع لها في وقت آخر ، حيث بعد قراءتها تبدأ تداعيات جديدة ٠

وعلى سبيل المثال ، ان اخر قصيدة كتبتها لمناسبة تكريم الاستاذ شاكر الغرباوي بتاريخ ١٧ / ١٢ / ١٩٩٢ ، وفي صباح هذا اليوم واثناء خروجي من البيت وسيري في الشارع وانا ادندن بابياتها،جاءت هذه الابيات كأضافة جديدة:

يا ابو محمود اغـرق سمعها
بحكاياك وهات ما نـــدر

انها تصغي ولـــــكن للهوى
فأرحــها بحديث مختصر
او ببعض من غوايات الصبا
فالذي اشتقت للقياه حضر

ان اكثر الابيات تأتي لي وانـا اسير فـي الشـارع ، حيث تراني مثل (المسودن) اقف في الطريق واخرج الورقة وادون الابيات .

س/ واذا صحت انها تطورت وتغيرت ، فهل تمارس ـ انت ـ عملية التغيير ؟ ام تشعر بـان الامـور تجري بعيدا عن متنـاول قدرتك ، فيمـا انـت تشـهد آثـار التغيير فحسب؟

ج / اشـعر ان فـي القصيدة بعض المفردات ، او الابيـات التـي ـ ربمـا ـ لا تفـي بـالغرض مـن ناحيـة المعنـى او المضـمون ، او ان تفـي بالمضـمون ، لكنهـا ليسـت مفردات شـعرية، مفـردات فقدت موسيقاها ، او ربمـا لـم تـؤد الغرض مـن الناحيـة الفنية ، فأكون ملزما بتغييرها بمفردة اخرى تعطي نفس المضمون ولكن بشكل آخر يعطي القصيدة جمالها وشكلها الذي تنتهي اليه .

س / ألك عادات تمارسها ساعة الكتابة ، ام لا ؟

ج / لا توجد لدي خصوصيات اثناء كتابة القصيدة ، ولا استخدم نـوع محدد مـن الاقلام ، ولا يهمني في اي مكان وفي اي وقت اكتب .

س / اراك تكتب على ورق طولي ؟

ج / لكي لايبقى تالف من الورق الفلسكوب ، وكذلك لكي تكون صـغيرة الحجـم ، وتدخل في الكيس النايلون الصغير الذي احتفظ به في جيب بنطالي .

س / اتشعر بوجود صلة بين احداث حياتك وبين ما يرد في قصائدك ،واذا كانـت هناك صلة ما، اتعي جيدا كيف تاتي وتدخل في نسيج شعرك ؟

ج / للقصيدة صـلة كبيرة باحداث تمر فـي حيـاتي ، ولعل القصيدة هـي حصيلة تجربة اعيشها بكل مفرداتها ، غير انـي لـم اتعمد كتابتهـا انمـا احس ان هاجسـا ، لا ادري من اين يأتي ، ومـا هي طبيعته ، يبدأ معـي بجملـة احـس انـهـا ستكون مفتاحـا للقصيدة ، فأبادر بكتابتها حتى ولو كنت في الطريق ، ثم ابدأ بتكرارهـا مـع نفسـي ، الى ان احس ان الجملة الشعرية تلك قد اكتملت ، وانـهـا تحمل صورة ، ربمـا تكون مفتاحا او بوابة لصورة اخرى ، وهكذا تكتب القصيدة محملـة بالصورة والاحداث التي مرت عليّ دون ان اتعمد احضارها .

س / اترى نـهايـة القصيدة قبل ان تبلغها ؟ وهل كنت تراهـا واضـحة ؟ واذا لـم تكن تراها ، فما الذي يحدد لك النـهاية ، ويوقف القصيدة عند نقطة ما ؟

ج / كلا ... لم ارها واضحة .. . واحس ان القصيدة قد انتهت عندما تكون قد استنفدت ما لدي من صور تلك اللحظة ، وربما تطالعني صور اخرى لها صلة بالقصيدة فأضيفها اليها ، ولا يشترط ان تكون مكملة للقصيدة ، او انها تقتحم القصيدة ، او تقتحم عليها من احدى فراغاتها التي احسها ، واكثر ما يثير هذه الصور الجديدة الفراغات التي تكثف القصيدة احيانا ، حيث احس ان شيئا ما تفتقر له خلال هذا الفراغ .

س / لماذا تشطب او تغير في القصيدة ؟

ج / عندما اشطب مفردة ، او اغيرها بمفردة اخرى ، فليس معنى ذلك انني غيرت القصيدة او ابدلتها بقصيدة اخرى ، فقد احس عند رجوعي لها ان تلك المفردة لم تأخذ مكانها من القصيدة ، ربما تكون مؤدية للغرض من جهة المعنى ، غير انها قلقة بين مفردات الجملة الشعرية ، الامر الذي يفقد تلك الجملة ، او ذلك البيت من القصيدة الانسياب والرنة الموسيقية التي هي من اهم مقومات القصيدة.

س / هل تنتهي عندك كتابة القصيدة عند انتهاء آخر بيت فيها ، ام انك تعود اليها بعد فترة ما لتغير فيها ؟

ج / تظل القصيدة خاضعة الى التغيير في بعض مفرداتها متى ما احسست ان هنالك مفردة تؤدي الغرض وتعطي القصيدة جمالية اكثر .

بعض القصائد تنتهي وبعضها احس انها غير منتهية ، وقد اعود لها ولو مصادفة ، فأحس ان هنالك فراغا بين مقاطعها ، وانها بحاجة لسد هذا الفراغ بما يكمل القصيدة ، وقد يتسنى لي ذلك او لا يتسنى ، فيظل احساسي بها انها غير منتهية .

س / كثيرا ما تذكر في قصائدك البحر ، والمرسى ، والاشرعة ، علما ان الناصرية مدينة غير بحرية ، وانت لم ترالبحر كما اعرف ، فماذا تقول ؟

ج / لا ادري كيف تقفز صورة البحر والموج والاشرعة والمراسي والشواطئ والجزر الى ذاكرتي وانا اكتب القصيدة مع اني لم اشاهد البحر ، ولم احلم به فمن اين تأتي هذه الصور الكثيرة التي لا تنسى الا لمن شاهد البحر او سافر فيه من مكان الى مكان .

س / استخدمت في شعرك الاسطورة ، وبعض الشخوص التاريخية المعروفة. هل تحدثنا عن ذلك ؟

ج / اصفها كرموز لشخصيات مضادة لها في عصرنا هذا ، فمثلا :امانة السمؤل ، مقابلها الخيانات المعاصرة ، والخنساء مقابلها ضياع التضحية واللاجدوى منها ، وطارق بن زياد يمثل الاصرار والتجربة الجديدة ، لا احد فعل مثله ، وابو ذر ، يمثل قضية نوع الاشتراكية التي يؤمن بها وتضحيته من اجل هذه

الفكرة ، والحسين ، رمز الاصرار والتضحية ، والحر الرياحي ، يمثل ازدواج الشخصية المعاصرة ، وسيزيف ، اذ من خلال هذه الشخصية تحدثت عن القضية الفلسطينية والجهد الضائع ، وجلجامش ، فقد تحدثت من خلال هذه الشخصية عن عدم ديمومة الحياة ، وان كل شيء الى نهاية ، اما الطوفان ، فقد تحدثت من خلاله عن خطيئة الانسان ، ورجس الارض التي بحاجة الان الى طوفان يطهرها ٠

س/ سألته عن بيت جاء في قصيدته (كان النهر) يقول فيه :

* كان النهر ، وكان الله الشيء المبهم

قلت له : هل المبهم الله ام النهر ؟ ام جعلت من الاثنين مبهمان ؟ وكذلك عما جاء في قصيدة (وجه القمر المتسلل) التي تبدأ بـ (شيء مبهم ٠٠٠ شيء مبهم) ، اجاب :

ج ـ اقصد نهر الفرات ، قبل ان يسده السوريون ، ثم تبدأ التداعيات عن النهر ، و كيف كانت رؤياي له ٠٠٠ انها رؤية طفولية ٠٠٠ كان النهر مبهما بالنسبة لي ، كما الله ٠٠٠ واذكر عندما كنت طفلا اذهب مع امي للنهر للسقي وغسل الملابس ، وكنت ارى منعطفه بالقرب من نخيل (السديناوية)(٢٦) ، وكنت اعتقد ان نهاية النهر ، وكذلك نهاية العالم عند ذلك المنعطف ، حيث ارى انطباق الافق مع الماء ، وكنت اعتقد ان الله جالس هناك وهو (يلولح)(٢٧) رجليه في الماء وهولا يخاف النهر ، بالعكس منا نحن الاطفال٠

س/ سألته عن قصيدة (زمن الغربة) اذ يقول فيها :

* من يوقد شمعة افراحي ؟

لارى الله

فأدرك ان الله علامة حب ، ودليل امان ٠

سألته : ما هي الاجواء التي كتبت بها هذه القصيدة ؟

ج / اجاب : لا اعرف ٠ ولكن شعور الشاعر والفنان بالغربة في مجتمعه ووطنه هو احد الدوافع ٠٠٠ وكان من المفروض ان اضع لها مقدمة ، وهي بيت شعري من قصيدة سومرية ، يقول البيت : (لقد نفتنا الالهة غرباء حتى مع انفسنا) ٠

ملاحظات:

١ ـ كان العنوان الاول لقصيدة (الليل واحداق الموتى) هو (لا لن يمر الله) حول حرب حزيران ، حيث بدايتها (الاعلامية) انتصارا ، ونهايتها هزيمة ٠

٢ـ كان العنوان الاول لديوان (العودة الى الطين) هو (العودة الى الطور) ، لان المكان الذي التقى به سيدنا موسى مع الله هو الطور ، وهو مطالبة من الشاعر ان يرفعه الله الى الطور ليلتقي به ٠

٣ ـ صبيحة يوم السبت المصادف ٥ / ٢ / ١٩٩٤ م قال لي رشيد مجيد :
ـ انزعج كثيرا من الرياضة ، صحيح انني كنت ازاول السباحة والركض ولعبة كرة القدم ، لكن الرياضة كدرس مفروض لا احبه ، ولا اطيقه ، ولا اعتقد انني حضرت درس الرياضة في يوم ما ، كنت اغيب ، او اهرب من المدرسة ، واذكر انه في عام ١٩٢٩م كنت في الصف الثالث ، وقد كثرت غياباتي ولم يعد لي من حيلة مما اضطرني الى ان اضرب رأسي بحجارة واعود الى والدتي مدمى ، لترسل هي الى والدي الذي ذهب الى المدرسة واخذ لي اجازة لذلك اليوم الذي فيه درس الرياضة٠٠٠ وكنت كذلك اسب واشتم حمورابي لانه اول من ابتدع المدارس ، فيما كان ابن عمتي (موسى) يسب (نوح) لانه اول من ابتدع النجارة ، اذ كان (موسى) عامل نجارة ٠٠٠ واذكر انه واثناء وفاة الملك غازي خرجت الناس وهي تلطم وتهزج بأهزوجة شعبية هي (اليوم حزنان البلاط) فسألنا- انا وموسى- عن معنى (البلاط) احد زملاءنا فأجاب ان معناه (بيض وصمون يعد خصيصا للملك) ، ومن ذلك اليوم يتمنى موسى ان يأكل ماعون بلاط ٠

***

ببلوغرافيا:

• رشيد مجيد سعيد محمد صالح العنزي ٠
• ولد في الناصرية عام ١٩٢٢ م وتوفي فيها بتاريخ ٤ / ٤ / ١٩٩٨م ٠
•اكمل الدراسة المتوسطة ، وعمل موظفا في الادارة المحلية والنشاط المدرسي والمكتبة العامة ٠
• كان يهوي الرسم والخط ، وامتهن التصوير الفوتغرافي ، وكانت له ستوديو خاصة معروفة في الناصرية ٠
•عضو اتحاد الادباء في العراق ٠
• نشرت له اول قصيدة عام ١٩٤٢ م في مجلة الغري النجفية٠ • فاز ديوانه (العودة الى الطين) ضمن احسن عشرة دواوين صدرت في الوطن العربي في مسابقة مجلة (آمال) الجزائرية عام ١٩٨١ م ٠
• كرم من قبل وزارة الثقافة والاعلام واتحاد الادباء عدة مرات ، واهمها الحفل الخاص يوم ٢٨ / ٥ / ١٩٩٢ م الذي اقامه اتحاد ادباء ذي قار ، وحصل على درع الابداع عام 1995 م ٠

دواوينه المطبوعة :

١ ـ بوابة النسيان ـ مطبعة الاداب ـ ١٩٧٠ ٠
٢ ـ وجه بلا هوية ـ وزارة الاعلام ـ ١٩٧٣ ٠
٣ ـ الليل واحداق الموتى ـ مطبعة الاداب ـ ١٩٧٤ ٠

٤ ـ العودة الى الطين ـ وزارة الاعلام ـ ١٩٧٩ ٠
٥ ـ لا كما تغرق المدن ـ وزارة الثقافة والاعلام ـ ١٩٨٢ ٠
٦ ـ يحترق النجم ولكن ـ = = = ـ ١٩٨٤ ٠
دواوينه المخطوطة:
ـ وانت يا سيدتي ٠
ـ في الشوك وردة ٠
ـ السفر الاخير ٠
ـ من اين جاؤوا ٠
ـ قمر خلف زجاج الباب ٠
ـ المرفأ ٠
ـ الجذور ٠
ـ وكان مجد الكلمة ٠
ـ صوت المدينة ٠
ـ ليلى ٠
ـ ويرحل القمر ٠
ـ زمن الغربة ٠
ـ في صحبة الريح ٠
ـ بعد ان غاب القمر ٠
ـ قمر اجمل ٠
ـ للحزن مناسك ٠
ـ تموز انشودة الخلاص ٠
ـ الهزيمة ٠
ـ للحب خفايا ٠
ـ دعاء من القلب ٠
ـ في رحلة السبعين ٠
ـ العرافة ٠
ـ الريح والمسرى ٠
ـ الزيت المقدس ٠
ـ طائر الجنوب ٠
ـ هذا الرماد ٠

مسودات:

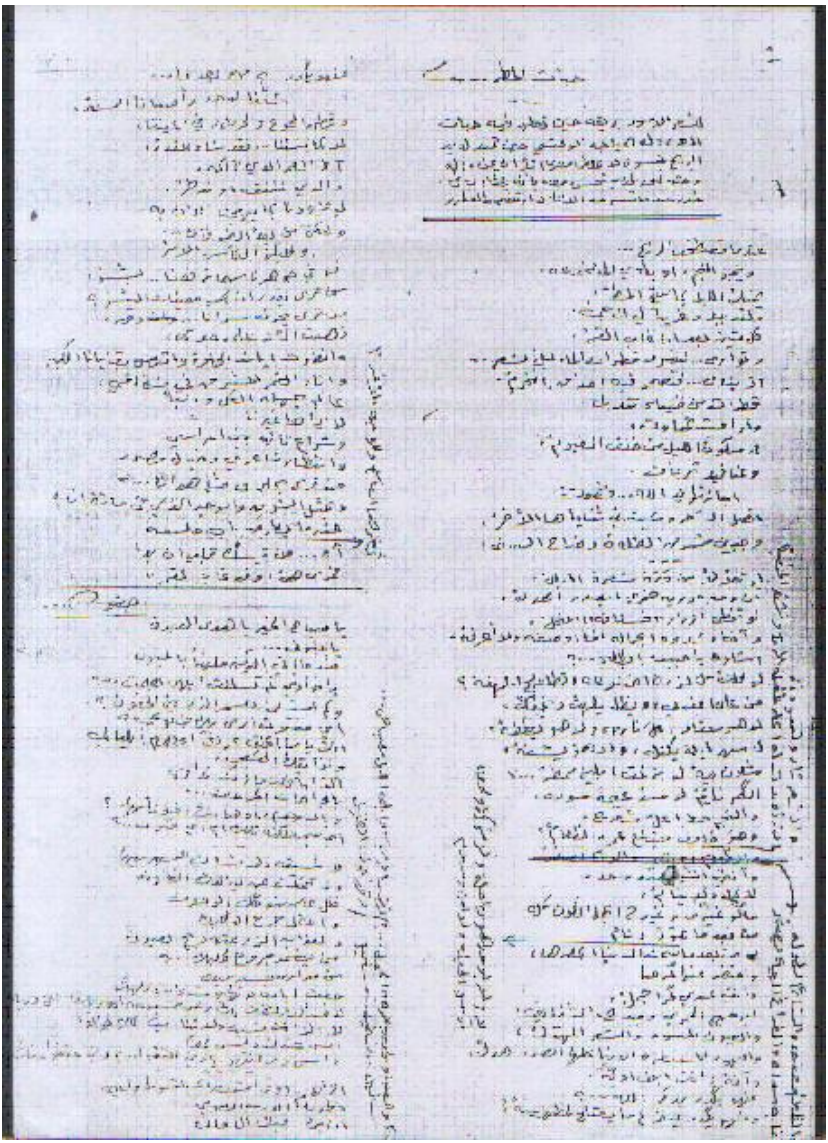

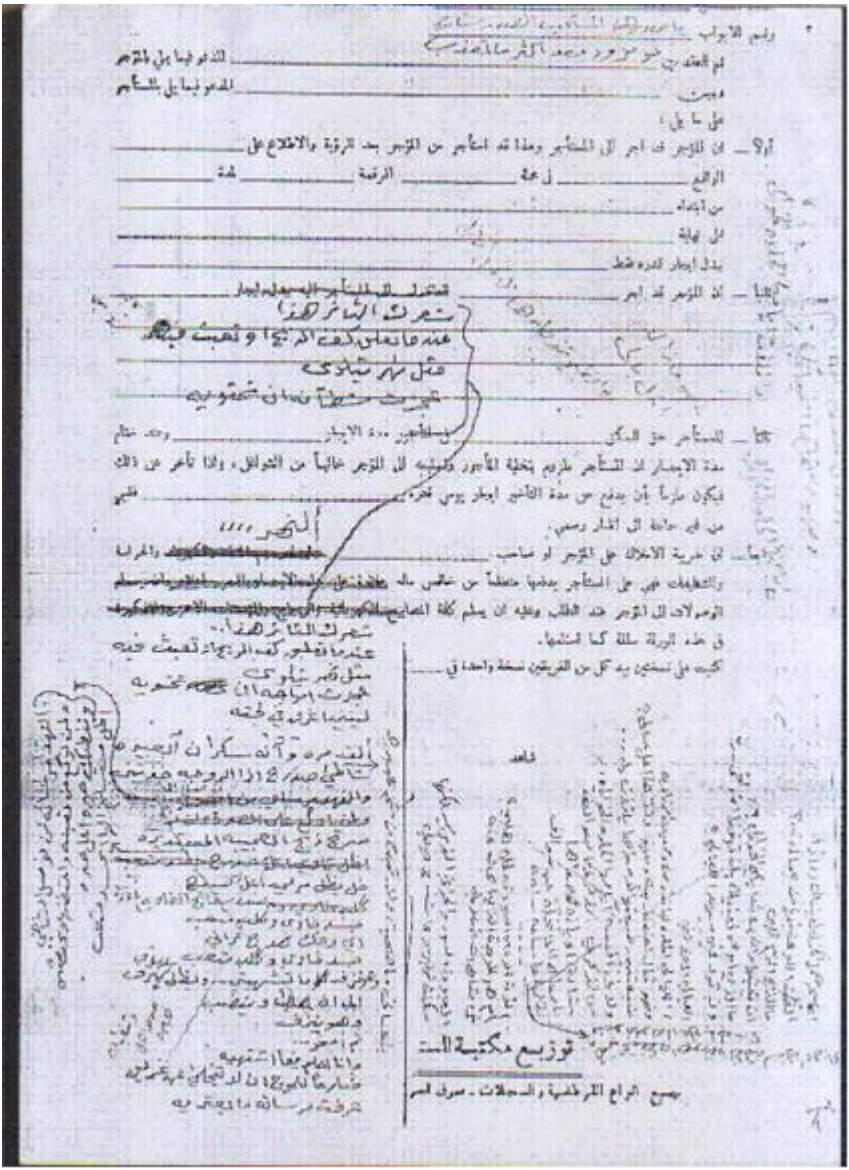

توزيع مكتبة

جميع الواع الكراسة والسجلات - صرف

الهوامش :

1 - من مسودة قصيدة لم يضع لها عنوان ، مؤرخة بتاريخ ٣ حزيران ١٩٩٢ .

2 - من قصيدة (هذه قدم اخرى – ايلول ١٩٧٨) من ديوان (لا كما تغرق المدن).

3 - كتب الفقيد بخط يده اجابة عن سؤال سألته اياه عن عائلته ونسبه بتاريخ ١٠ / ٥ / 1992 فقال : ((ينتمي اصول عائلتي الى عشائر عنزه ، وقد نزحت عائلتي الى بغداد ايام الحكم لعثماني لاسباب سيايبة وقتها ، ثم نزحوا الى سوق الشيوخ ، ثم الى الناصرية في اول تأسيسها .)).

4 - هناك بعض الامور الغامضة في حديث الفقيد ، وكنت وانا اسجل ذلك مباشرة على الورق ، اضع علامات استفهام امامها ، كي لا اقاطعه ، ومن ثم اسأله عنها ، لكنني كثيرا ما انسى ذلك ، فظلت الكثير من الامور بحاجة الى توضيح .

5- بيك : قدح شراب .

6 - عريضة : طلب مكيوب .

7 - معكل : يرتدي على رأسه العقال .

8 - موذح : مسرع .

9 - عتكت : عتقت ، اصبحت قديمة .

10 - مسودن : مجنون .

11 - كضت : انتهت .

12 - سواديني : جنوني .

13 - وضعت كلمة تمازتي بين قوسين لانها حلقة الانتقال من الهجة العامية الى اللغة الفصيحة .

14 - جزء من قصيدة (بعد ان غاب القمر) نقلتها عن مسودة للقصيدة التي كتبها الشاعر بتاريخ ٢٥ / ٢ / ١٩٩٤ .

15 – (غير الله) تلفظ كما تلفظها العامة .

16 - ظواهر معنوية في شعر رشيد مجيد – المرأة بين عذرية الحب وحسية الخطاب الشعري – جريدة بابل – ٢٠ / ١١ / ١٩٩٣

17 - من قصيدة (من خلال رواسب الماضي - ١٩٧٣) – وجه بلا هوية .

18 - وجه بلا هوية -١٤ .

19 - وجه بلا هوية –٢٢ .

20- المصدر السابق – ٣٨ .

21 - المصدر السابق – ٤٠ .

22 - مـــن مســـودة قصـــيدة لـــم يـــذكر لهـــا عنوانـــا ٠
23 - هذا البيت اضيف للقصيدة بعد كتابتها ، كما تبين ذلك من مسودة القصيدة ٠
24 - وهومن اوائل كاتب قصة قصيرة في الناصرية ، وشغل في سنواته الاخيرة في النصف الاول من الستينات وظيفة امين المكتبة المركزية في الناصرية ٠
25 - من قصيدة (عزران والمقهى - ١٩٧٨) من ديوان (لا كما تغرق المدن)٠
26 - السديناوية : هي احدى نواحي محافظة ذي قار ، محاددة لمينة الناصرية من الشـــــــــــــــــــرق ٠
27 - يلولح : يترك رجليه سائبتان في النهر ٠

ظواهر معنوية في شعر رشيد مجيد
المرأة – الحبيبة
بين عذرية الحب وحسية الخطاب الشعري
- مقتربات اولية-
٨ / ٥ / ١٩٩٤

مقدمة :

يشكل الشاعر رشيد مجيد (١) ظاهرة شعرية فريدة من نوعها ٠٠٠ فهو شاعر بعيد عن الاضواء ـ خاصة ـ في السنوات الاخيرة ، على الرغم من غزارة انتاجه الشعري ، وكذلك فأن روح الشباب التي يعيشها شعرا وحياة ما زالت متوهجة ، متألقة ، على الرغم من مرض القلب ٠

قبل كل شيء ، يجب التنويه الى ان المادة الاساسية لهذا البحث هو مجاميعه الشعرية الستةالمنشورة فقط ٠ (٢)

واذ تتعدد الظواهر المعنوية التي يفرزها الخطاب الشعري للشاعر رشيد مجيد ، فأنها ستكون في هذا البحث قليلة جدا ، ذلك لان المادة الشعرية التي اعتمدها البحثص كمرجعية اساسية قليلة جدا كما نوهت سابقا ٠

ان قاري شعر رشيد مجيد بمقدوره ان يفرز الكثير من الظواهر المعنوية التي احتواها خطابه الشعري ، منها :

1 ـ موقف الشاعر من الله ٠

2ـ موقف الشاعر من الزمن (العمر خاصة)٠

3 ـ موقف الشاعر من الموت (رثاء الاخرين / رثاء النفس)٠

4 ـ موقف الشاعر من المدينة ٠

5 ـ موقف الشاعر من الحب (المرأة / الحبيبة)٠

واذ يطول الحديث عن كل ذلك ، فأن هذه السطور ستعني اساسا بما يفرزه الخطاب الشعري للشاعر في مجاميعه المطبوعة عن موقفه من المرأة 0

****

موقف الشاعر من الحب

المرأة / الحبيبة:

تأخذ المرأة عند الشاعر رشيد مجيد حضورا شاملا وكليا ، ليس على مساحة شعره فحب ، بل وفي تفكيره وسلوكه الحياتيين ، وهذا الحضور الواسع

للمرأة ، على الرغم المساحة الصغيرة التي شغلها في مجاميعه الست المطبوعة المنشورة(٣) ، فأنها تشكل ظاهرة بارزة في شعره ٠

ان ظاهرة حضور المرأة في خطابه الشعري ، تأخذ فرادتها من كونها :

١ ـ ان المرأة عند الشاعر ، هي : الحبيبة // المعشوقة فقط ، ولا وجود لاي صنف اخر عنده ٠٠٠ حيث ان بنية الحب / العشق ، تتشكل بين الشاعر والمرأة فقط دون سواها من البنى ، ويكون الخطاب الشعري عند ذاك موجها اساسا اليها ، حيث يفتقر الى وجود المرأة / الام ، المرأة / الابنة ، المرأة / الاخرى ٠ (٤)

٢ ـ ان العلاقة التي تربط الشاعر بالمرأة حياتيا ، هي علاقة يمكن وصفها بانها علاقة عذرية ،لان مثل هذه العلاقة ، والتي اكدها الشاعر في حديث خاص معي (٥)، هي المهيمن الكبير على حبه للمرأة خارج النسق الشعري ، ولاشي غير ذلك٠

ان الحب عند الشاعر ـ في الواقع ـ هو حب روحي ، استجابة روحية بين (روحين) احداهما ذكرية ، والاخرى انثوية ، الى بعضهما ، فتصبح الروح عند ذلك واحدة في جسدين ٠

٣ ـ رغم عذرية الحب ، وافلاطونية العلاقة ، الا ان الشاعر يجعل من خطابه الشعري موجها ـ اساسا ـ الى وصف ما هو حسي ، فيقع التناقض بين هذا الخطاب وما هو خارجه في حياة الشاعر المعاشة ، فتأخذ النظرة ـ ذات الطابع الحسي للمرأة ـ مساحة واسعة من ذلك الوصف ، عندها ينتقل ذلك الحب العذري وتلك العلاقة الافلاطونية من خطاب الروح الى خطاب الجسد ، وتتحول بنية العلاقة من بنية روحية الى بنية حسية / جسدية ٠

ان التناقض هذا ، مرده الى ذلك التعفف الذي يبديه الشاعر امام المرأة / الحبيبة (المعشوقة) ، حيث تسكت جميع الحواس امام تلك المرأة سوى حاسة البصر التي تطوف على الوجه المليح ، والقد المياس ، والبسمة الفاتنة ، عند انتهاء لحظة المواجهة الروحية هذه ، تأخذ باقي الحواس بالعمل ، ليس على جسد المرأة الحقيقي ، بل فيما هو متخيل ، وما هو متخيل ينتقل مباشرة الى الخطاب الشعري ، الى كلمات وجمل وقافية وبحور شعرية (٦) على الرغم من قوله :

* اني لا املك طهر القديسين ٠٠٠

ولا مارست احابيل الشيطان

ولكي نكون اكثر قربا مما قلناه سابقا ، فأن متفحص مجاميع الشاعر الستة المنشورة يجد الملاحظة الثانية ، لا يمكن الحديث عنها من خلال الخطاب الشعري ، لانها تعتمد على السلوك الاخلاقي الواقعي للشاعر في علاقته بالمرأة ، ولهذا فأن مثل هذه العلاقة ستقع خارج السياق الشعري ، ولا يمكن الركون اليها طالما ان

الشاعر نفسه سيقصى من هذه السطور ونحن ندرس ظاهرة المرأة في خطابه الشعري ٠

***

في قصيدة (الساعة الاخيرة) يفصح خطابها الشعري عن وقوف الشاعر امام المرأة/ المحبوبة ، او انها هي التي تقف امامه ، لتودعه بعد انتهاء علاقة الحب التي بينهما :

* وكما اشتهيتك٠٠٠ اشتهي ايام تفترق الشجون (بوابة النسيان ص١٧)

ولو تفحصنا دلالات المفردة (اشتهيتك) قاموسيا ، لوجدناها تعني :(الشهوة) اكل ما هو مادي ، كالطعام (٧) وامن رغب في النساء ، او شديد الرغبة في الملذات المادية (٨)٠

وكل هذه المعني تحيل الى دلالات حسية ، وان (الاشتهاء) يحيلنا الى فعل اخر بمدلول حسي ، هو (اللذة) ، واللذة لا تصاحب إلا ما هو مادي / حسي ، كما هي (الرغبة) التي يجيء بها الخطاب لنا بسياق حكائي :

* وكانت اميرتي معي
والشعر والاحلام ، والدنيا وما فيها معي ،
ولم نكن سوى غريبين اطلا ساعة على حلم
على جناحي رغبة
على ابتهالات نغم ٠(لا كما تغرق المدن ـ ص٨١)

واذ يجد الشاعر نفسه امام محبوبته وجها لوجه ، فأن صوت المذياع يكون ثالثهم ، وكأنه الشيطان ، يدفع بهما الى :

* (فهات عينيك)
(هات يديك)
(يا اغلى من ايامي)٠

واذ تقفل هي الباب امام الشاعر ، او انه هو الذي يقفل الباب بعد خروجها ، فأنه يطلب منها في قصيدة (بوابة النسيان) ان (تسمّر) باب الذكرى ، وتسد كل الكوى :

* سمري باب ذكرياتك ٠٠٠ قد سمرت بابي ٠ (بوابة النسيان ـ ص ٣٠)

ولا يحيلنا الخطاب الشعري في هذه القصيدة مباشرة الى مبتغانا ، لان هناك ما هو مخفي خلف الكلمات ، حيث تتجلى الكثير من المعاني والدلالات ، ليس تأويلا ، او تفسيرا ، وانما تعرية من القشرة الخارجية التي حاول الخطاب الشعري عند الشاعر ان يغيبه من خلال اختيار نسق شعري مضلل ٠

ها هو الخطاب الشعري يصف واحدة من الوقائع التي حدثت بين الشاعر و المرأة :

* لم يعد امسنا كأمس
ولا انت كانت التي ملكتُ هواها
لم تعد لهثة الشموع ، ولا صمت انتظاري
ولا احتراس خطاها
ولم تعد سكرة الجفون اذا ما
هموم النجم وارتخت عيناها ٠ (بوابة النسيان ـ ص ٢٨)

فإمتلاك الهوى ، ولهثة الشموع ، عند صمت الانتظار ، واقتراب الخطى من غرفة الشاعر بأحتراس ، ومن ثم (سكرة الجفون حين لا يهوم النجم) ثم (ارتخاء العيون) كل ذلك هو وصف لواقعة بين رجل وامرأة ، لكنها ليست واقعة بريئة ، لان رفع الغطاء الظاهري والبحث عن الدلالات الحسية لها ، سيكون مفيدا ، من حيث يجعل من لعبة التخفي التي حاول الشاعر في خطابه ان يلعبها فاشلة ولا جدوى منها٠

الخطا الشعري في هذه القصيدة لا ينتهي عند هذا الحد ، وانما يكمل ما اراد ان يقوله :

* فما اقسى الليالي اذا استردت مداها
حسبها اننا التقينا كأن لم
تكن للامس عشرة ذقناها٠ (بواة النسيان ـ ص٣١)

ولنضع خطا احمراتحت (عشرة ذقناها) ولنتساءل : ما الذي يبتغيه الشاعر من استرداد تلك الليالي ؟ اليس هو المذاق الحسي (للعشرة) ، اي للعلاقة الحسية ، لا الافلاطونية مع المرأة / المحبوبة / المعشوقة ؟

وعندما يصرخ الشاعر (غدا يطفأ مصباحي) امام الجميع ـ وليس امام محبوبته فقط ـ في قصيدة (جدار الصمت) فان انطفاء ذلك المصباح يحيل الى ان يكون خطاب الشاعر معنيا مدركات الحواس (الفم مع حلمة النهد) (الذراع مع الزند):

* فمي المفطوم سمراء وقد جف وزمت حلمة النهد
ذراعاي اذا ما استسلم القلب وهومت على زندي٠ (بوبة النسيان ـ ص ١٠٧)

وكل ذلك يعيد الذكرى اليه بعد ان :

* فلا ليل ولا انثى يمران على دربي ٠ (ص١٠٨)

فلا يستقيم الليل والمرأة في حب عذري تكون فيه مجسات الرجل المادية (الفم والذراعان) في اشتباك لذيذ مع مجسات المرأة / الحبيبة / المعشوقة (حلمة نهد) ٠

ان خطاب الشاعر ليس هو خطاب رومانسي ـ على الاقل فيما ينوء به ذلك الخطاب من ثقل قلبه المدمى بحدود الجسد الانثوي ـ انه خطاب من يفتتن بحدود الجسد الانثوي ٠

فالحب كعلاقة انسانية ، يبقى مصلوبا ، ما دام ينأى عما هو يجيش في الاعماق من احاسيس تحاول الانطلاق لتتفجر بواسطة مجسات الشاعر الحسية :

* دقات قلبينا ، وما يمارسانه على اعيننا
نحن تنكرنا لما يجيش في اعماقنا
نحن صلبنا حبنا٠٠
نحن قتلناه ، قتلنا الرغبة الكبرى بنا،
مأساتنا يا قلب اننا نخبئالهوى عن بعضنا
نزوغ في قلوبنا ٠ (وجه بلا هوية ـ ص٤٨)

والتنكر لما يجيش في الاعماق معناه انكسار علاقة الحب وموتها ، لهذا فأن الخطاب الشعري يؤكد على عدم سوية هذه العلاقة ، مما يحيل الى طلب الانفصال :

* فقد يمر العمر كالحلم بنا
لا انت لي ، ولا انا
حتى، ولا هذا الذي نملك من ايامنا
ولتسلمي اميرتي ، لؤلؤتي
سمراء يا سيدتي ٠ (وجه بلا هوية ـ ص٥١)

واذا كان الخطاب الشعري يجعل من هذه العلاقة ما هو خارج نسق العلاقة التي يرغب ، فأن الخطاب في قصيدة (الذي بين الفم والقبلة) يتخذ له نسقا مغايرا، هو النسق الذي يجعل من المجسات الحسية (المرسِلة) تلعب دورها مع المجسات الحسية (المستقبِلة) للمرأة ، وهذه المجسات هي (الشفتان) وفعلهما (التقبيل) ، حيث تحيل هذه العملية الى عمليات حسية / جنسية كثيرة ٠

فالقبلة بين الشاعر وحبيبته تفعل الكثير ، انها تغيّر٠٠٠ فهي (تدنس الاستار) وتجعل (الاحبار) يتوضؤونبالدم ، هكذا يعلن الخطاب الشعري ٠

وان ما بين الشفاه وتلك القبلة ، يمتد سيف (الى النهدين بلا رحمة) و (فم يسعى ليموت على شهقة حلمة) ٠ (وجه بلا هوية ـ ص ٥٧)

واذ يأخذ الخطاب الشعري في القصيدة السابقة نسقا حسيا ، فأنه في قصيدة (ليل واغنية) يتابع ذلك النسق وهو ينسل من بين (الليل الحاجب) ، وحضور المرأة

(كانت اميرتي معي) وصوت ام كلثوم يبثه المذياع ، نرى الخطاب الشعري يمزج بين الاغنية وما يحدث في الغرفة :

*** ويعلن المذياع عن اغنية**
و (انت عمري) الاغنية
تختلج اللوعة في اصدائها ، وتنتهي بأغنية
(لوحدنا)
تهيم عيناي بعينيك ، وترتاح يدي
(فهات عينيك)
و (هات يديك)
(يا اغلى من ايامي)
(يا احلى من احلامي) ٠
(لا كما تغرق المدن ـ ص٨٢)

وتستمر الاغنية ، ويستمر الليل مخيما وحاويا للشاعر واميرته :

*** ولم تكن سوى تنهداتنا كما هي ٠**

ثم ينتقل الخطاب الشعري من نقل الجو المحيط بالحبيبين الى ما سيؤول اليه تأثير هذا الجو، و يحدث بينهما :

*** وتلتقي عيني بعينيها ، وترتاح يدي**
على حرير ثائر ، او خصل من ذهب
حتى اذا تدف الهوى الى شفاهنا ، واستلمت متعبة٠٠
لمتعب ،
وقلت يا عروقنا تفجري ، ويا شفاهنا اشري
وباركي مزالق الهوى ، وثورة السغب
واحتطبي٠٠٠
فليس اروى من شفاه تحتطب
ولتبحر الان بنا احلامنا ٠ (المصدر السابق ـ ص٨٣)

ويستمر الخطاب الشعري ينقل ما يحدث ، حتى يصل الى ذروة الفعل :

*** واغتصب القبلة ٠٠٠ ما الذها لو تغتصب**
فالعمر، ومضة ويطبق الدجى ،
ولذة ٠٠٠ سبحان من اودعها ترابنا
فأترك اذن مواسم الهوى لنا
نطعمها جذورنا
ولتأكل النار الحطب

ولتأكل النار الحطب٠ (المصدر السابق ـ ص٨٤)
وهكذا تأكل نار الحطب المتأججة في قلبيّ الشاعر واميرته حطب الجسدين٠

واذا كان الخطاب الشعري في النصوص السابقة موجها الى المرأة ، حاويا نسقا وصفيا للحالة التي يختلي بها الشاعر بمحبوبته / اميرته ، فأن الخطاب الشعري في (هذا العطش الهمجي) يحيلنا الى نسق اخر من خطابات الشاعروهو يصف عملية التلصص التي يمارسها يوميا الى نساء الشرع ٠ واذ يقدم قصيدته قائلا : (كان هذا في الصباح من كل يوم ، فمن الذي يعصي هواه؟)

ما الذ يبغيه الشاعر عندما يترك لهواه ان يفعل ما يشاء؟

* وكما يجني الباعة ارباحهم٠٠٠
فأنا ايضا ، اجني ارباحي اليومية
اتسلل للشارع ، المح اول قافلة نسوية
الاف الخطوات المنسابة كالنسمة ، بين الاكمام،
وثرثرة الامواج الفضية
والوف الاعين، بل والوف النظرات العطشى،
والوف البسمات ، الوف الارداف المرتجة
بين الخصر، وما لا يوصف من اعمدة بلورية ٠ (المصدر السابق ـ ص ١٤٥)

ثم يستمر الخطاب الشعري ناقلا ما تراه عيني الشاعر وهو يقوم بفعل التلصص لقوافل النساء المنسابة كالنسمة (٩) (صلف النهدين) (نزق الرغبة في دم انثى بوهيمية) ٠

واذ تنساب تصورات الشاعر وهو يحدث نفسه عن امرأة رآها اكثر احتشاما ولم يردع ـ ذلك الاحتشام- عينيه من الابحار في جسدها ، تبدأ خيالاته تصور له ما في دواخل هذه المرأة ، وكأنه يعاقبها على احتشامها ، فيفضح دواخلها:

* مهما احتَشَمت فهي امرأة
تبحث عمن يطفئها في ضجة عري شهوانية
استلهم عينيها ، اتأمل خلفها٠٠٠
هذا الجسد الطيني ، وكيف تمرد عن روح حية ؟
هذا العطش الهمجي على فمها،
حمقى هي ان لم تروي انوثتها
او بلهاء اذا لم تكسر طوق مجاعتها الروحية

حمقى هي ان لم تسمع صوت الدم فيها،
وفحيح النار الجنسية ٠ (المصدر السابق ـ ص ١٤٦)

ثم ينتقل الخطاب الشعري من فضح دواخل المرأة الى الاخرين ، يصرخ في وجوههم :

*** ومجانين يا من اكل الحرمان جوانحهم،**
وامتص السهد محاجرهم
وعلى كل وسادة نهدين لكم مأوى
ومطاف في رحلتكم هذي الجسدية ٠ (المصدر السابق ـ ص١٤٦)

***

عود على بدء:

وهكذا تأخذ المرأة حضورها الجسدي في خطاب الشاعر رشيد مجيد ٠٠٠ انها مفاتن الجسد ، شفاه محمومة ، عيون وسنانة ، هي شهوة ، لذة ، رغبة محمومة، يبحث عنها الشاعر فيما التناقض في دواخله ، بين ان يبتعد عن عالم القديسين ، وبين عدم ممارسته لاحابيل الشيطان :

*** اني لا املك طهر القديسين**
ولا مارست احابيل الشيطان ٠ (العودة الى الطين- ص ٥١)

الهوامش :

١ – القي البحث في الحتفالية التكريمية التي اقامها اتحاد الادباء والكتاب في ذي قار للشاعر رشيد مجيد بتاريخ ٢٨ / ٥ / ١٩٩٢ ٠ ونشر في جريدة العراق في ٢٠ / ١١ / ١٩٩٣ ٠

٢ – انظر هوامش البحث السابق ٠

٣ – من مجموع (١٠٩) قصيدة احتوتها مجاميعه الست المطبوعة ، كانت هناك (٩) قصائد تناولت موقف الشاعر من المرأة ، وهذا لايعني ان الشاعر لم يكن معنيا بهذا الجانب ، لكن عملية اختيار القصائد للنشر في مجاميع ، قد جعله يقوم بعملية اختيار شديد الوقع على قصائده لاسباب اجتماعية ٠

٤ – هناك قصائد موجهة الى (نهال) لا تدخل ضمن هذا السياق ، انظر الدراسة السابقة ٠

٥ – انظر الدراسة السابقة ٠

٦ - اكد لي الشاعر ، ان المرأة التي كتب عنها الشعر لم يمسسها البته ، وقال : ان المرأة التي تجمعني واياها علاقة حب جسدية (جنسية) لم اكتب عنها شيئا ٠

٧ – مختار الصحاح ص ٣٥٠ ٠

٨ – تكملة المعاجم العربية – دوزي – ج٢ ٠

٩ – وعملية التلصص ليست حالة مرضية / نفسية / جنسية ، كما (التبصصية) لان الاثنين يختلفين في السلوك والاهداف ٠ (انظر الجنس والنفس – د٠ علي كمال – ص ٢١٦)٠

تمرين في القراءة
النص بين منشئه وقارئه
محاولة لكتابة نص القارئ (*)

القصيدة:
ليلة ممطر

الليلة ممطرة،
والبرد احدّ من السكين
وصوت الريح ، وحشرجة المطر المتدفق ...
والشارع اقفر ، إلا من اصداء خطاها ،
لاشيء سوى هذا ،
وسوى اصداء خطاها وسواها ،
وحقيبتها المبتلة ، والشعر المتثائب في ملل ،
فوق الكتفين .. وانملها ،
وهي تدق الباب ليفتح ..
من سيكون الليلة ضيفي ..؟
ومن الطارق ...؟
هذا وقع حذاء امرأة ستشاركني اليوم فراشي ،
فسأدخلها ... او سأراها ،
وانصاع الباب لها ، وامتدت قامتها ...
امرأة تعبى تتأملني ،
لم يتركها الليل ، وهذا المطر المتحدر كالسيل ،...
ان تختار مكانا غير مكاني هذا ،
قالت : انا متعبة ،
هل تسمح لي ...؟
هذا اقرب بيت لمسافرة مثلي ...
القت بخطاها الريح امام سياجكم ،
قالت هذا ... ورمت بحقيبتها ...
وهي تمر خلال الباب :
سأجفف شعري ، بل واغير اثوابي
اوقدت المدفأة الاخرى ،

ومضيت اعد لها ما تأكله ،
سألتني ٠٠٠ وهي تحدق بي :
اتقيم هنا وحدك ٠٠ ام ان هنالك من سيجيء ؟
فقلت لها : الليلة لست لوحدي
بل نحن اثنان هنا ،
فلنقتسم الدفء وها قد اذكته جوانحنا ،
وتملكنا شوق ، لا ندري كيف نقاومه ،
الليلة ممطرة ، والريح تحاصرنا ،
والبرد القاسي لا يرحم ٠٠٠
لولا ان سريري ،
كان على مقربة منا ٠

للعنوان اهمية كبيرة ، واثر عظيم في ما سيبوح به النص من دلالات ، وهو الباب الذي يمكن من خلاله ولوج عالم النص ، ان كان ذلك بصورة مباشرة او غير مباشرة ، وهذا لا يعني ان العنوان سيوفر الوقت بعدم قراءة النص ، والاكتفاء به حسب ، إذ ان مثل هذا العنوان ، ومثل ذلك النص لا يرتقيان الى ان يتسميا بـ (نص ادبي) مهما كان جنسه ٠

ان للعنوان علاقة وثيقة بعالم النص ، يرتبط معه ، وفي الوقت نفسه يظل بعيدا عنه (قراءة او كتابة) ، وفي اغلب الاحيان لغة ايضا ، ولكنه في احايين كثيرة وفي نصوص كثيرة يؤخذ العنوان من النص نفسه ، كلمة واحدة ، او كلمات ، وربما بيتا شعريا كاملا ، وهذا يعود الى منشيء النص بإرادته او دونها ، وبوعي منه او دونه ، ومن الجدير بالذكر ، ان مثل هذه العناوين ، المستلة من متن النص ، تثبت بعد كتابة النص لتعطي القاريء فسحة من الوقت لعمل ذهني في ما سيقرأ أولا ، في ما يعيش من اجواء يمنحها النص له ثانيا ٠

القصيدة التي سنتناولها في هذه السطور ، هي احدى قصائد الشاعر المبدع المرحوم (رشيد مجيد) وقد نشرت العام ١٩٩٢ (١) وعنوانها (ليلة ممطرة)، واول ما يمكن استنتاجه من هذا العنوان ، المتكون من كلمتين غير معرفتين ، ان هذه الليلة الموصوفة بـ (الممطرة) هي اية ليلة ينزل بها المطر ، لا تاريخ لها ، انها احدى ليلي الشاعر ٠

إن تركيبة (الاسم ونعته) توحي بالثبوت والاستمرارية ، ثبوت كونها ليلة (ممطرة) واستمرارية هذا المطر في تلك الليلة معا ، يعطي دلالة تامة بأن النص – حتما – سيعمل ضمن جو هذه الليلة ، أي ان زمن النص سيمتد بكل دقائقه في جو

ممطر وما يجلبه المطر من مناخ بارد له علاقة بالحدث الذي سيقدمه النص ، وهذا لا يعني ان النص سيكون سجلا تاريخيا لما سيحدث من افعال خلال الليلة الممطرة ، لان مثل هذا المفهوم سيخل بشعرية النص ، لان القصيدة ليست سجلا لدقائق الزمن الراكض ، وانما هي – القصيدة ومن ثم الشعر – غربال للزمن وحوادثه ٠

ان الاستمرارية التي يوحي بها العنوان تؤكدها بنية النص نفسها ، البنية الدائرية ، إذ يبدأ النص بالمقطع الاول الذي يرسم لنا لوحة معبرة عن جو تلك الليلة :

* الليلة ممطرة
والبرد احدّ من السكين
وصوت الريح ، وحشرجة المطر المتدفق ٠٠٠
والشارع اقفر ، إلا من اصداء خطاها

وينتهي النص في مقطعه الاخير وهو يعيد لنا رسم اللوحة نفسها تقريبا :

* الليلة ممطرة والريح تحاصرنا
والبرد القاسي لا يرحم ٠٠٠

ينبني هيكل النص ، إضافة للعنوان ، دون اية مقدمات او اهداءات ، كما هو شأن أغلب نصوص رشيد مجيد الاخرى ، في سبعة مقاطع شعرية ، تتنوع بين المقطع الوصفي ، والمقطع الخبري ، والمقطع الحواري ، ومثل هذا النوع استدعى وجود تمفصلات بين مقطع واخر ، مما جعل بناء الهيكل العام للنص يتصف بليحيوية والتماسك ٠

يتمفصل كل مقطع بالذي يليه بأداة العطف (الواو) ، مضافا لبيت شعري ، او جزء من البيت ، سوى مفصل المقطعين الرابع والخامس الذي يفتقد لهذه الاداة كون الفعل (قالت) قد قام مقام التمفصل ، بما توحيه مشاركة المتحدث والسامع من جانب ، ومشاركة شخصي (بطلي) النص بفعل القول ، وكذلك مشاركة الدلالة التي اوحى بها المقطع الرابع من وصف المرأة وهي تحت وابل المطر ، وبين طلبها السماح لها بالدخول ٠

المقطع الاول :

١ – الليلة ممطرة
٢ – والبرد احدّ من السكين
٣ – وصوت الريح ، وحشرجة المطر المتدفق ٠٠

في هذا المقطع ، يتحول العنوان من اسم غير معرف الى اسم معرف بأل التعريف ، ومن هنا يتحول زمن العنوان من زمن غائب بين ازمان اخرى (ليلة من ليال كثيرة) الى ليلة محددة المعالم والاحداث ، انها ليلة النص نفسه ٠

هذا المقطع اريد به ان يكون مستهلا للنص ومدخلا ٠٠٠ وفي المقطع نفسه مهينا السامع والقاريء للدخول الى جو النص ، اذ ان الفضاء الذي سيتحرك فيه ابطال النص – اذا صحت التسمية – ٠٠٠ هو هذا الجو الممطر وما يرافقه من برد ورياح ، وبالمقابل من تأثيث للنص لـ (السرير ، المدفأة ٠٠٠ الخ)٠

المقطع الثاني :

٤ – (٠٠٠) إلا من اصداء خطاها

٥ – لا شيء سوى هذا

٦ – وسوى اصداء خطاها وسواها

٧ – وحقيبتها المبتلة ، والشعر المتثائب في

٨ ـ بلل،

٩ – فوق الكتفين ،

قبل ان نتحدث عن هذا المقطع بأبياته الست علينا ان نذكر ان البيت الرابع قد جزأناه الى جزئين ، كان الاول (والشاعر اقفر) هو المفصل الذي جعله الشاعر اداة الربط بين المقطعين الاول والثاني ، بين وصفه للجو (البرد والريح والمطر) وبين وصفه (واخبارنا عن ٠٠٠) ما تركته المرأة – غير المرئية له – من آثار استدل بها عن وجودها وهي تتحرك في الشارع ، إن برودة الجو ، وصوت الريح وحشرجته قد اديا الى خلو الشارع من المارة ، مما يجعل صوت خطاها يصل الى اذني الشاعر ، ربّ سائل يسأل كيف يمكن سماع وقع الخطى في جو يتدفق فيه المطر والريح تصوت ؟

انه الاحساس المرهف للرجل (بطل النص ، الشاعر) الذي خلقته الوحدة والوحشة في جو ممطر تجاه المرأة (اية امرأة) إنه احساس (جنسي) تولد عن الحالة التي يعيشها ، فكان لحاسة السمع دورها الكبير في ذلك بعد ان توقفت جميع الحواس الاخرى لعدم حاجته اليها ، وقد اجاب المقطع الثالث عن مثل هذا التساؤل عندما راح تفكير بطل النص (الرجل – الشاعر) بعد سماعه صوت خطى المرأة بالتفكير بمشاركة المرأة تلك – دون ان يراها – في فراشه ٠

المقطع الثالث :

ولكي ينتقل النص من المقطع الثاني الى المقطع الثالث مر بمفصل محول ، وهذا المفصل هو : (وانملها ، وهي تدق الباب ليفتح٠٠٠) لذي يجمع بين اثاث المقطع الثاني (مخلفات المرأة ، الخطى ، الحقيبة ، الشعر فوق الكتفين) والاحساس الداخلي لبطل النص ، وكان يقف بين هذا وذاك باب مغلق لا يمكن فتحه إلا بعد دقه ٠

١١ – مَن سيكون الليلة ضيفي ٠٠؟

١٢ – ومَن الطارق ٠٠٠؟
١٣ – هذا وقع حذاء امرأة ستشاركني اليوم
١٤ - فراشي٠٠
١٥ – فسأدخلها او سأراها٠

تساؤلات طرحها بطل النص على نفسه ، وفي الوقت نفسه فإن الاجابة عنها افرحته ، فهو اما سيراها (فحسب) ، او سيدخلها بيته ، عندها – يقرر سلفا – ستشاركه فراشه ٠٠٠ هكذا انصب تفكيره على ما هو حسي (جنسي) على الرغم من عدم رؤيته لها ٠

المقطع الرابع :

١٧ – امرأة تعبى تتأملني ،
١٨ – لم يتركها الليل وهذا المطر المنحدر
١٩ – كالسيل
٢٠ – ان تختار مكانا غير مكاني هذا ٠

قبل هذا المفصل كان هناك البيت / المفصل (وانصاع الباب لها ، وامتدت قامتها) وهكذا ارتبط هذا المقطع بالمقع الثالث ، مقطع التساؤلات واتخاذ القرار بمقطع (حالة المرأة) ، وفي الوقت نفسه جمع هذا المفصل بين المقطعين الرابع والثاني ، بين الانامل التي طرقت على الباب واصياع الباب (انفتاحه) ودخولها – أي الوصول الى حالة اليقين إن الخطى التي سمعها هي خطى امرأة لا غير – وفي الوقت نفسه فقد صدق حدس البطل على ان المرأة هذه (تعبة) ومن دلالات هذا التعب هو (حقيبتها المبتلة ، والشعر المتثائب على الكتفين) مما دفعها الى اختيار دار بطل النص ٠ وهكذا يذهب تفكيره دون ان يعرف سببا اخر ، الى المرأة نفسها ، ذلك لان كل هواجسها واحاسيسه كانت مرتبطة بالمرأة (كأنثى) مما دفعه الى ان يحسم امر سبب الاختيار دون سواه ٠

المقطع الخامس :

٢١ – (٠٠٠) انا متعبة ،
٢٢ – هل تسمح لي ؟
٢٣ – هذا اقرب بيت لمسافرة مثلي
٢٤ – القت بخطاها الريح امام سياجكم ،
٢٥ – قالت هذا ورمت بحقيبتها ،
٢٦ – وهي تمر خلال الباب ٠٠
٢٧ – سأجفف شعري ، بل واغير اثوابي ،

إن ارتباط هذا المقطع بالذي سبقه كان بفعل القول : (قالت: ٠٠) وهكذا تقررت حقيقة تعب المرأة المسافرة ، وفي مثل هذا الجو ٠

يطغى على هذا المقطع صوت المرأة من خلال الفعل (قالت) الذي تكرر مرتين ،وكذلك (حركتها) ٠

لقد احتلت المرأة – بوجودها وافعالها وحديثها – حاستي السمع والبصر عند الرجل (بطل النص) فتحول سماعه من خارج البيت الى داخله ٠٠٠ هكذا اصبحت هذه المرأة هي صاحبة البيت ، وهذا ما يريده بطل النص ، اذ إنها ستجفف شعرها ، وتغير ملابسها المبتلة ، فمذا يفعل هو اما مثل هذه المرأة ؟ سوى ان يهيأ لها جوا دافئا ، لكنه يخطيء الاختيار لوسيلة الدفء ، وهذا ما سنذكره لاحقا ٠

المقطع السادس :

٣٠ – سألتني ٠٠ وهي تحدق بي :

٣١ – اتقيم هنا وحدك ، ام ان هناك من

٣٢ – سيجيء،

٣٣ – فقلت لها : الليلة لست وحدي ،

٣٤ – فلنقتسم الدفء ٠٠ وها قد اذكته

٣٥ – جوانحنا ٠

هذا المقطع الحواري هو امتداد للمقطع الخامس ، لولا البيتين اللذين مفصلا بينها (اوقدت المدفأة الاخرى ، ومضيت اعد لها ما تأكله) الا ان الاحساس الذي انتاب الرجل (الاحساس بالدفء) – ولا ادري ان كان هذا الدفء بسبب حرارة المدفأة ، ام كان بسبب وجود المرأة ؟- والذي يحاول ان يجعل المرأة تشاركه فيه لكي يهيأها نفسيا الى ما يريد ، قد جعله يستدعي اليه الاحساس الاول الذي كان يعيشه وهو البرودة من خلال تمفصل هذا المقطع بالمقطع الاخير الذي يعيدنا الى الوصف الذي افتتح به نصه ، من خلال بيت التمفصل (وتملكنا شوق لا ندري كيف نقاومه)٠

المقطع الاخير :

٣٨ – الليلة ممطرة ، والريح تحاصرنا

٣٩ – والبرد القاسي لا يرحم ٠٠٠

٤٠ – لولا ان سريري

٤١ – كان على مقربة منا ٠

قراءة النص او نص القراءة:

بعد هذا التحليل المقطعي للنص ، سأتجاوز بعض الاعراف الادبية ، واعطي لنفسي (لذائقتي الشعرية اذا صح التعبير) الحق في ان اقرأ – وفي الوقت نفسه –

انتج نصي الشعري من خلال قراءة جديدة لهذا النص ، واجد لي مبررا في ذلك ، لان النص بعد ان ينتجه مبدعه يصبح ملكا للاخرين (القراء) ، ولهذا سأقوم بعملية إجرائية للنص من خلال حذف بعض الابيات ، او اقوم بترتيب جديد لبعض ابياتها ، وكذلك هناك بعض الملاحظات ،مثل :

اولا :

١٢ – من سيكون الليلة ضيفي ؟

تساؤل لا مبرر له ، اذ قد اجيب عنه في المقطع الثاني عند ذكر خطى المرأة وحقيبتها وشعرها ٠٠٠ الخ ، او ان نضع هذا البيت والذي يليه (ومن الطارق) بعد البيت الرابع ٠

ثانيا :

٢٩ – اوقدت المدفأة الاخرى ،

٣٠ – ومضيت اعد لها ما تأكله ٠

ان ايقاد مدفأة ثانية يعني وجود مدفأة اولى موقدة ، هذا اولا ، وثانيا ، ان المقطع الاخير قد اجاب عن كل تساؤل حول برودة الجو من خلال وجود السرير الذي كان على مقربة منهما ٠

ومن الطريف انني عندما نبهت الشاعر (رحمه الله) بعد قراءته لهذه القصيدة في احدى الاماسي المخصصة له في مدينة الناصرية ، الى عدم الحاجة لهذه المدفأة بعد وجود السرير ، ايد قولي ، اذ قال وهو يبتسم : (كان على ان لا اوقد تلك المدفأة) ٠٠٠ اذ ان السرير يكفي بعد ان اذكيت جوانحهما وتملكهما الشوق الذي لا يقاوم ٠

نص القاريء:

١ ـ الليلة ممطرة،

٢ ـ والبرد احدّ من السكين

٣ ـ وصوت الريح ، وحشرجة المطر

٤ ـ المتدفق ٠٠٠

٥ ـ من سيكون الليلة ضيفي ٠٠؟

٦ ـ والشارع اقفر ،

٧ ـ هذا وقع حذاء امرأة ستشاركني اليوم

٨ ـ فراشي ،

٩ ـ لاشيء سوى هذا ،

١٠ ـ وسوى اصداء خطاها وسواها ،

١١ ـ وانملها ،

١٢ ـ وهي تدق الباب ليفتح ٠٠
١٣ ـ وانصاع الباب لها ، وامتدت قامتها ٠٠٠
١٤ ـ امرأة تعبى تتأملني ،
١٥ ـ وحقيبتها المبتلة ، والشعر المتثائب في
١٦ ـ ملل ٠٠٠
١٧ ـ فوق الكتفين ٠٠
١٨ ـ لم يتركها الليل ، وهذا المطر المتحدر
١٩ ـ كالسيل ،
٢٠ ـ ان تختار مكانا غير مكاني هذا ،
٢١ ـ قالت : انا متعبة ،
٢٢ ـ هل تسمح لي ٠٠٠؟
٢٣ ـ هذا اقرب بيت لمسافرة مثلي ٠٠٠
٢٤ ـ القت بخطاها الريح امام سياجكم ،
٢٥ ـ قالت هذا ٠٠٠ ورمت بحقيبتها ٠٠٠
٢٦ ـ وهي تمر خلال الباب :
٢٧ ـ سأجفف شعري ، بل واغير اثوابي٠
٢٨ ـ سألتني ٠٠٠ وهي تحدق بي :
٢٩ ـ اتقيم هنا وحدك ٠٠ ام ان هنالك من سيجيء ؟
٣٠ ـ فقلت لها : الليلة لست لوحدي
٣١ ـ فلنقتسم الدفء وها قد اذكته
٣٢ ـ جوانحنا ،
٣٣ ـ وتملكنا شوق ، لا ندري كيف نقاومه ،
٣٤ ـ لولا ان سريري ،
٣٥ ـ كان على مقربة منا ٠
٣٦ ـ الليلة ممطرة ، والريح تحاصرنا ،
٣٧ ـ والبرد القاسي لا يرحم ٠٠٠

(*) نشرت هذه الدراسة في مجلة الاقلام في عدد ايلول ـ تشرين الاول ٢٠٠٠
ـ نشرت القصيدة في جريدة بابل – الاربعاء المصادف ٢٢ / ١٢ / ١٩٩٢ ٠

انكسار الشاعر
قراءة في قصيدة (من يشتري ؟) (*)

القصيدة:
من يشتري ؟ (١)
و بقافية
سأبيع ما ملكت يدي
سأبيع حتى العافية
لعمر ٠٠لا ٠٠ لا شيء غير ضبابه
وضلال ايامي وما خلف الليالي الباقية
من يشتري
عقبى غواياتي فأني تائه
متوجس الخطوات مكدود القوى
اتأمل المجهول ، اسأل عن غدي فيما انطوى ،
اتثور ايامي على مستنقعي٠٠٠؟
ماخور اوزاري، ومهوى عفتي
يا بئس من مخدع
تابوت اشلائي يجر وراءه
هذي البقية من أس وتفجع
محراب تكفيري الذي قوضته
لأعد من انقاضه مبغى لجائعة معي
زنزانتي
يا ما تبدد وانطوى فيها نداء ضميري المتضرع
خمارتي ٠٠٠
ايان يصطخب الكؤوس وجدتني
احسو على ضمأ بقية ادمعي
يا ويلتاه٠٠٠ اكلما هتف الضمير اجبته
ان ليس ثمة ما تقول وتدعي
ايامنا٠٠٠ رغباتنا مجبولة بالادمع
من يشتري؟
ماخور اوزاري ومهوى عفتي٠٠٠؟
زنزانتي؟
محراب تكفيريالذي هدمته؟

خمارتي ... مستنقعي؟
اني ابيعك يا هوى
يا وكر اثامي ، وثدي خطيئتي
وجموح ايامي التي افنيتهن بلا امل
و بألف الف تعلة...
سأعود ثانية لظلك يا هوى
سأعود احتضن الالم...
الم الجراحات التي لم تندمل
جلادتي..
يا ويح مديتها التي لم تحتمل
يا ويح ايامي بها فلقد افقت على ندم
يغتالني فيها الاسى... ويقيؤني فيها الشجن
وتلوح اقدامي متاهات الدروب فلا ظلال ولا وطن
وتموت في شفتي اغنية وتولد ثانية
ويظل يسترخي فمي في اغنية
هي نشوة الاحلام من عمري ومن متع الليالي الماضية
تتفجر المأساة في اصدائها
صورا مروعة واحلاما عدابا زاهية
في عمقها داتي، وفي خلجاتها..
صوتي يرن مجلجلا في الهاوية
هي كبريائي..
يستفيق من الحضيض ومن مهاوي اللذة المتناهية
يستجلي اسرار الهوى
ويرود ابعاد الحياة بلا ملل
حيث الشباب غواية..
وفم يفتش عن قبل
ظمآن يستجدي ابتسامة غانية
سأبيعها لو تشتري
سأبيع ما ملكت يدي
فلقد رضيت من الحياة ... بقافية

***

على ضفاف الفرات ، وفي الناصرية المدينة الغاثية على هذا النهرالازلي، محمية بـ (اور) التاريخية، في هذا الواقع الجغرافي والتاريخي تفتحت زهور الشعر في قلب شاعر الناصرية رشيد مجيد ، بأول انغام الكلمات ، او بأول الكلمات المنغمة ، وهو يتغنى بالناصرية الحبيبة وبمجدها وعبر سنوات الابداع الطويلة كانت قصائد الشاعر رشيد مجيد اغان تتغنى بها شفاه المحبين والناس البسطاء من اهل المدينة يتغنون للناصرية الحبيبة ، والحبيبة / الناصرية٠٠٠ ولكن ، عندما يجد الشاعر ان كل شيء - ما عدا الشعر - هو " باطل وقبض ريح " يصرخ بصوته الشاعري المجلجل من يشتري ؟

تلك الصرخة التي لم تدو في جنبات سوق النخاسة او في سوق (الهرج) بل هي دوت بين جنبات الزمان عبر مساراته المتواصلة (الماضي ، الحاضر ، المستقبل)٠

من يشتري ؟

انها صرخة الشاعر بوجه الحقيقة ، وبوجه الاخرين الذين نزف الشاعر دما وهو يغني لهم ولاجلهم ٠

من يشتري؟

نشتري ماذا ؟ وبأي ثمن ، ولماذا ؟

اسئلة كثيرة اثارتها وتثيرها هذه القصيدة التي حاول الشاعر ان يرسم فيها صورة انكساره والمه ٠

من يشتري ؟

اشياء الشاعر المعروضة للبيع:

١ - سأبيع ما ملكت يدي ٠
٢ - سأبيع حتى العافية٠
٣ - سأبيع عقبى غواياتي
٤ - سأبيع ماخور اوزاري ، ومهوى عفتي
٥ - سأبيع تابوت اشلائي
٦ - سأبيع محراب تكفيري
٧ - سأبيع زنزانتي
٨ - سأبيع خمارتي
٩ - سأبيع جلادتي

هذه هي معروضات الشاعر للبيع ، والسؤال الذي يولجه الشاعر وهو يقدم هذه المعروضات : لمن يبيع ، وبأي ثمن ؟

* اني ابيعك ياهوى
يا وكر اثامي ، وثدي خطيئتي
وجموح ايامي التي افنيتهن بلا امل
وبألف الف تعلة
سأعود ثانية لظلك يا هوى ٠

واي هوى هذا الذي يبيعه الشاعر كل ما يملكه حتى العافية ؟
انه الهوى الذي يمنحه دفقة شعرية وعالما شعربا يحلق فيه وانغاما يعزفها على قيثارة الزمن ٠

* سأبيع ما ملكت يدي
فلقد رضيت من الحياة ٠٠ بقافية٠

وعندما نبحث في الاسياء المعروضة للبيع ، سوف لن نجد " العمر " فيها ، هذا العمر الذي يأكله الشاعر بنفسه من دون وعي منه ، انه زكم متآكل ، هذا هو عمر الانسان وليس بزمن متنام فلماذا يحرص الشاعر عليه ولماذا لا يعرضه للبيع اسوة بما ملكت يداه ، حتى العافية ؟ هل خاف عليه ؟ ام انه ظن به امام الهوى / القافية ؟

الجواب : كلا ٠
فالشاعر لم يجد في عمره ما يستحق ان يباع ٠٠٠ لهذا نراه يصرخ في وجهه من يسأله استفزازا:لا ٠

* العمر ٠٠ لا٠٠ لا شيء غير ضبابه
وضلال ايامي وما خلف الليالي الباقية٠

انه يعرف ان عمره هذا هو "عمر محتضر"

* وطويت العمر الى محتضر العمر
واذن هذا قدري
هذا قدري (٢)

انه رماد وتراب ، صفرة الحلم ٠
* يا ايها العمر الذي صنعني بلا شباب

يا ابن الليالب الزاحفة للسراب
يا صفرة الحلم المسجىخلف هالات الضباب
و يا رمادا قد قد تهاوى من يدي
ويا ترابا في تراب (٣)

فالشاعر يبيع كل ما يملك الى "الهوى" مقابل قافية ٠٠٠ ولنتساءل:ما الذي يفعله الشاعر بهذا البديل "القافية"؟ هل ما يريده شعرا مجرد اوزان وقافية ؟ اليس هذا ما يريد ؟ ام انه يريد اكثر من هذا ؟

ان الهوى عنده هو " ابتسامة غانية"٠

وهكذا تصبح عنده القافية / الشعر معادلا لابتسامة غانية /امرأة ، فيحق له ـ عند ذاك ـ ان يبيع كل شيء مقابل تلك الابتسامة ، فها هو يخاطب زميله الشاعر عبد القادر رشيد الناصري وكأنه يخاطب نفسه :

*** ولا سامرا بليل اكتنابك**
مؤمنا ان متعة الجسد الفاني٠٠
صلاة الجمال في محرابك
وبأن الدم العتي اذا ماجن شوقا
فعبدت الجمال٠٠ تستلهم الحب
وتحسو شذاه في اكوابك (٤)

انه ابيقوري الحب والنظرة ٠٠ فيحق له ـ حينئذ ـ ان يفدي عمره من اجل قافية يشدو لحنها امام ابتسامة غانية / امرأة / الجمال٠

***

الهوامش :

*** نشرت هذه الدراسة في جريدة بابل ليوم الاحد المصادف ٢٤ / ٥ / ١٩٩٢ ٠**

١ ـ من ديوان "بوابة النسيان " ـ رشيد مجيد ـ ١٩٧٠ ـ مطبعة الاداب ـ النجف ٠

٢ ـ من قصيدة "هذا قدري " من ديوان الشاعر " لا كما تغرق المدن " ٠

٣ ـ من قصيدة " حكاية " من ديوان الشاعر " وجه بلا هوية " ٠

٤ ـ من قصيدة " كامل الناصري " من ديوان الشاعر " بوابة النسيان" ٠

المحتويات :

١ ـ رشيد مجيد ٠٠٠ انساناً وشاعراً
٢ ـ ظواهر معنوية في شعر رشيد مجيد- المرأة – الحبيبة- بين عذرية الحب وحسية -الخطاب الشعري - مقتربات اولية-
٣ ـ تمرين في القراءة ـ النص بين منشئه وقارئه – محاولة لكتابة نص القارئ ٠
٤ ـ انكسار الشاعر ـ قراءة في قصيدة (من يشتري ؟) ٠